

SALAH EDDINE TEDJINI

صلاح الدين تجيني

الخنس

رواية



المنشور



الطبعة الأولى 1445 هـ - 2023 م

(ISBN) : 978-9931-689-58- 4

الإيداع القانوني: 2023/08

اسم العمل: الخُتس

اسم المؤلف (ة): صلاح الدين تـجـيـنـي

تصميم الغلاف: زكرياء رقاب

إخراج: أحمد منصوري

المدير العام / سميرة منصوري

الناشر / دار المثقف للنشر الجزائر

صفحة الدار على موقع فيسبوك:



/https://www.facebook.com/elmothakaf



الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com



هاتف / فاكس 0773 21 90 79 / 033 80 47 79

واتساب/0675 49 73 86



مقر الدار: Rue Ben flis- impasse kalenge- batna

المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة
للمؤلف وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا
بإذن من الناشر.



صلاح الدين تجيني

رواية



الخُنس

المثقف

للنشر والتوزيع



إلى من يقرأ

إلى الصخرة الصماء التي ستصحو ذات يوم لتلتهم من لا يجيد فكّ
الحروف.

* * *

القراءة هي ذلك الشَّيء الذي يحدث في داخلك ليطلعك على ما ليس لك به علم، هي التحول الذي يطرأ على الحروف لتتقلب الكلمات إلى تصوّرات ومشاهد وأحاسيس، القراءة هي العملية التّصوريّة التي تأتي بعد تلقي الحواس للمعلومات سواء كانت كلمات أو مشاهد أو أصواتاً.

النقيّ



"وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"

● صدق الله العظيم

إدراك الإنسان مرتبط بما لديه من حواس، والعلم مرتبط بكيفية تحليل
الفؤاد لما تلتقطه الحواس، وبما أننا نكتشف كل يوم أنّ الحواس لا
تلتقط كلّ شيء فقد حان الوقت للقليل من التّواضع.
"ما على الوضيع سوى التواضع"

النقي

* * *

القسم الأول



اللُّغز

سكون رهيب، دجنة قاتلة، خوف ضعف، وكأئما ظلام الكون اجتمع في ذلك المكان.

لم أشعر بأي شيء ولم أسمع وتيرة أنفاسي المعتادة ولا الإيقاع المؤنس لنبضات قلبي، حتى أنني نسيت كيف كان يبدو الإحساس وعرفت أنني ميت وهذا هو الموت وها قد حان الوقت وشعرت به.

فريال

أغلقت فريال الحاسوب وهرعت إلى ابنها الذي بدأ يبكي مؤذنا بوصول موعد نزهته، لقد أخذ صغيرها ذو الثلاث سنوات معظم الوقت الذي لم تكن تملكه من الأساس، وأصبحت تجد صعوبة في التوفيق بين حياتها الأسرية وبين عملها في الوكالة الفضائية الجزائرية.

كانت تعيش مع زوجها السيد عمر قدوري الذي انتقل من عمله في الجزائر العاصمة إلى مدينة أرزيو بوهران، وهذا الانتقال كان مرده إلى أنّ الزوج أراد عيش حياة أسرية مستقرة وذلك أن فريال غير قادرة على ترك عملها كمديرة للوكالة الفضائية بوهران، ممّا أدّى إلى انتقال السيد عمر ليكون مدرس اللغة الإنجليزية في مؤسسة قريبة من مقرّ سكنهم، حينها كان كلّ شيء على ما يرام وحياتهم الأسرية يشوبها الهدوء والاطمئنان مغلفة بمودة ورحمة المحبين، يتقاسمون مهامهم وأحلامهم ككلّ عائلة وينعمون بهذه الرابطة الاجتماعية التي أتاحها الله للبشر ليسكنوا إليها ويواصلوا إكمال السّنة الطبيعية للحياة.

بيد أنه مع ازدياد مولودهم كفرد ثالث في الأسرة تغيّر الوضع وأصبح يتوجّب على الأبوين الاهتمام أكثر، وإعادة جدولة أولويات كل منهما وهذا ما لم تحسنه فريال، حيث أرادت القليل من وقت زوجها إلى غاية إكمال مشروعها ممّا أدّى إلى تدهور الأوضاع وحدوث مشاجرات

مستمرة لم تبدي لها فريال أي أهمية ولم تنظر إليها بتلك الجدّة، فقد استقبلت أجهزة الرصد في المحطة ترددات غريبة هي الأولى من نوعها في تاريخ المحطة ولم يجدوا لها أي تفسير، وهذا الحدث الغريب هو ما يدور في رأسها منذ ذلك الحين.

قبل ثلاثة أشهر أكملت فريال عملها على جهاز الرصد (إيثري) والذي وضعت عليه بعض التعديلات وزودته بلواقط وعدسات تتيح تصوير الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء والطيف المرئي، كما من شأن هذا الجهاز أن يستقبل الموجات الصوتية وقد أتت الوكالة العمل على هذا المشروع الضخم بمشاركة كل من الهند والإمارات العربية المتحدة قصد إرساله إلى مدار الأرض، ويعدّ هذا التلسكوب الأول من نوعه من حيث الدقة والذي سيتم إطلاقه بعد تسعة أشهر فور ما تتم عمليات التجربة الأولية واختبار المركبة الفضائية التي ستقوم بنقله مع أجهزته الأخرى.

لكن وعلى غير المألوف استقبل الرّاصد وهو لا يزال في المحطة ذبذبات غريبة ورموزا لم يستطيعوا فكّ شيفراتها وهذه الرموز المتكررة هي ما أرقت السيّد فريال وأخذت جلّ اهتمامها فالرحلة ستكون بعد أشهر قليلة، وهذه الذبذبات بما أنّها غير مفهومة ولم يجدوا مصدرها فإنّ العطب هو الاحتمال الأوفر حظًا في عملية دقيقة مثل هذه.

هكذا كانت ستتأجل الرحلة وهو الأمر الذي كانت تعمل ثلاث دول على منعه دون أن يكتشفوا ماهية هذه الذبذبات ودون أن يجدوا أي تفسير لهذه المحدثّة غير المتوقّعة، والتي من شأنها أن تعرقل المشروع.

ولما ولّى جزء كبير من المدّة المقرّرة لإقلاع المركبة وإطلاق إيثري انتهى بالشركاء إلى تأجيل الرحلة وذلك لاحتمال وقوع خلل قد يفضي إلى خسائر كبيرة من شأنها أن تنهي هذا المشروع الضخم الذي أصبح محطّ أنظار العالم إلى غاية الانتهاء من هذا العطل وصيانته، بيد أن فريال كانت رافضة لفرضية العطل وكانت شبه متيقّنة أن هذه الذبذبات تم التقاطها من قبل إيثري، وأنّه إذا تم إطلاقه في الوقت المحدد ستوقف هذه التردّدات وأنها مجرد تداخلات من محطات الطاقة أو القواعد الصناعية المتواجدة في حيّز رصد الجهاز، ورغم كل جهودها وتفسيراتها إلا أن المشروع أُجّل وهنا وجدت فريال نفسها تحاول جاهدة أن تسكت هذه الذبذبات وتضع حلاً لهذه الطاقة المتطفلة، وظلت معتكفة أمام الحاسوب تحاول فهم هذه الطاقة واحتوائها، وقامت المحطة بإنشاء لجنة مختصة للبحث في موضوعها.

حين ذلك كان مكتبها يعجّ بالمنحنيات والبيانات الخاصة بتلك التردّدات، وتبهرجت جدران غرفتها بأوراق وتصاميم لأغلب بيانات الطاقة والتردّدات، فبعد طلاقها من السيد عمر أصبح بيتها عبارة عن مكتب

كذلك الذي في الوكالة، يعجّ بالفوضى وغير ملائم كمكان يهرب إليه المرء آخر النهار ليستجمع قواه وينعم بالسكينة ويعيد برمجة طاقته، فقد بات الآن مكانا للاجتماعات الطارئة التي أصبحت شبه يومية. بدت عازمة على إنهاء مشروعها غير مبالية بالتقاليد المعيشية والاجتماعية، مُلغية بذلك كافة الأولويات وهذا الذي رآه السيد عمر عندما سألها ذات مرّة:

ـ إلى متى ونحن على هذه الحالة من الفوضى؟

ردّت فريال دون أن تزيح عينيها من تلك المستندات التي كانت تتفحصها :

ـ إلى غاية الانتهاء من المشروع وإرسال الزايد إثري.

تنحى عمر مغيرة وضعية جلوسه مؤذنا بجدية هذا الحوار الذي هم بإجرائه، وقال مستفهما:

ـ ومتى ينتهي هذا المشروع بإذن الله؟

لم يتلقّ أيّ إجابة وقوبلت جديته بصوت صفحات المستندات التي كانت تقلبها فريال.

عزم السيد عمر منذ مدة على إجراء هذا الحوار حتى أنّه كان يقوم به بينه وبين نفسه مجيبا مكان فريال، وكان يريد بهذا الحوار الانتهاء من هذه الفوضى ووضع حدّ لهذا الأمر لكنّه صدم من كيفية تعامل

فريال مع حوارهِ وبرودة أعصابها، وغضب غضبا عميقا لاحظته فريال من كيفية وضعهِ للكأس على الطاولة محدثا بذلك صوتا نَبَّهها لجديّة الموقف وقال مباشرة بعد أن انتقلت عينا فريال من الكأس واستقرّت عليه:

_ وإذا طلبت منك أن تنسحبى من هذا المشروع ماذا سيكون جوابك؟
_ لن تطلب مِنّي ذلك فأنت دائما ما كنت تساندني، قالتها وهي تعود بعينها إلى مستنداتها.
_ أنا أطلب ذلك الآن، ردّ عمر بنبرة هادئة وصارمة.

نظرت إليه زوجته نظرة ذات مغزى وقد توسّعت عيناها ووضعت مستنداتها على الطاولة ووقفت متحدية دون أن ترجع الكرسي إلى مكانه، واتّجهت إلى غرفتها التي كانت لا تزال جدرانها فارغة لم تُشوّه بعد بتلك البيانات والمخططات البشعة.

كان هذا آخر حوار بينهما بعد أن انحلت الأواصر وانفكت الصلات وفسخت الأقسام، وكلّ هذا لم يُحدث أيّ تغيير أو فراغ على فريال فكان شيئا لم يحدث، بل وقد ازدادت نشاطا وحيوية خاصة بعد أن انتقلت أمّها الجدة ميرة للعيش معها والعناية بحفيدها.

ظَلَّتْ فريال كلَّ يوم تضرب في بياناتها ومسوداتها على غير هدى، إلى أن هاتفتها لويزة التي أنبأتها بوجود تردّدات جديدة ومتقطّعة فلم تلبث بعد تلقي هذا الخبر إلا أن كانت في الوكالة تتفحّص الترددات الجديدة وقد حملتها في شريحة إلكترونية وعادت بها إلى المنزل، كما قامت بإرسال نسخ منها إلى وكالة الإمارات الفضائية ونظيرتها الهندية وهذا كلّه كان بعد تجاوز المدة المقررة لإطلاق التليسكوب بشهرين، ولم يتم تحديد تاريخ جديد لاستئناف الرحلة.

لم تجلب تلك الموجات الجديدة لفريال إلا مزيدا من الغموض وعلامات الاستفهام، فقد كانت الموجات ذات ذبذبات قصيرة ومتقطّعة، تفصل بين كل موجة وأخرى دقيقتان.

ظَلَّتْ صديقتنا ترسم كل تردّد على حدى وتزيّن به جدران غرفة المعيشة فلم تعد جدران غرفة نومها تسع لمزيد من الأوراق، وقد توصلت في الأخير هي والأنسة لويزة التي كانت تبيت عندها أحيانا لإكمال عملهما إلى وجود ثمان وعشرين موجة قصيرة، تبدأ هذه الموجات وتنتهي بنفس الترتيب كل مرة ويحدث ذلك مرة كلَّ يوم، وبدأ يتكرّر بشكل يومي في حين أنّ الموجات الأولى لم تظهر مجدّدا وهذا الذي رجّح كقّة فريال على رؤسائها وقد تبنّوا احتمالياتها في أن هذه الموجات قادمة من مكان ما وليست عطبا في الرّاصد، وقاموا باستدعاء خبراء مختصّين لمعرفة مصدرها.

تنفست فريال الصّعداء وانتشى غرورها بطعم الانتصار، فقد ثبتت فكرتها وصدق حدسها بعد أن قام الخبراء بتحديد مصدر الصّوت عن طريق أجهزتهم التي جاءتهم من الهند والتي كانت عبارة عن ثمان وأربعين طبق استقبال والتي التقطت فور تشغيلها نفس الموجات وبفس الطريقة والترتيب ومرة كلّ يوم، والمدهش في الأمر أن تلك الموجات لم يكن مصدرها محطات الطاقة القريبة من الرّاصد، ولم تكن تداخلات وتشويشات من محطات أخرى، ولم تكن حتى من داخل الكرة الأرضية! بل كانت طاقة غريبة من الفضاء الخارجى تبعد عن الأرض بعشرين مليار سنة وهذا كان اكتشافا مدهشا وانتصارا للرّاصد إثري قبل أن يرسلوه إلى الفضاء ويباشر عمله.

علي

يصحو على أصوات دقات قلبه المتسارعة يمسح من على وجهه العلامات النَّاجمة عن تقلص الخلايا الموجودة في غدده العرقية. إنها الواحدة والنصف ليلا، يجلس على مكتبه ويمسك آتته ويباشر في الكتابة فقد أصبح الأمر عاديا ومتكررا وقد بدأ يتعوّد على النهوض بتلك الطريقة القاسية يوميا، والتي أثّرت على علاقته مع أبيه. عزم أبوه السيد لزهاري على أن يأخذه إلى راقٍ ليعالجه فلم يعد الأمر يطاق، أي نعم.. تلك الجعجعة وذلك الصّراخ المتلازم كل ليلة قد توقف، ولكن أوركسترا الآلة الراقنة التي تبدأ منتصف الليل وتستمرّ إلى آجال متفاوتة كانت تنخر رأسه وتتلاعب بمزاجه الهرم.

ينهض علي في وقته المعتاد ويطلق العنان لأصابعه التي ما إن تبدأ بالعزف على تلك الآلة لا تتوقف وكأن شخصا ما يملي عليه ما يكتب، وهكذا كانت كل الليالي، علي يكتب والسيد لزهاري يتذمّر، ولكنه توقف عن الصراخ منذ مدة وكأنه تأقلم مع كابوسه إلى غاية تلك الليلة التي صحا فيها السيد لزهاري على صراخ ابنه الممتدّ إلى نهاية الشارع، واقفا فوق المكتب وقد أزاح كل الأغراض التي كانت فوقه إلى أرضية الغرفة، يحمل أوراقه بشكل غير مرتب محكما قبضته المرتجفة عليها، ويكي بطريقة جنونية ويصيح بكلمات مبعثرة وغير مفهومة.

اختلجت أوصال السيد لزهاري لَمَّا رأى ابنه بهذه الحالة وتقدم إليه وهو يستعيز بالله وقال مهدئاً له:

_ بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله عليك يا بني ما بك؟!

_ إنه حقيقي يا أبي، إنه موجود إنه موجود لقد أتاني من مكان بعيد.

_ لا حول ولا قوة إلا بالله! من هذا الذي تتكلم عنه يا ولدي العزيز؟
استغفر ربك إنه مجرّد كابوس.

انتفض علي صائحاً:

_ لا لا إن إنه... إنه ليس كابوس ليس كابوساً! إنه يعرف كلّ شيء!

أمسك السيد لزهاري بأرجل ابنه الذي كان لا يزال فوق المكتب وقال
بلهجة يشوبها الحزن:

_ من هذا الذي يعرف كلّ شيء وأين هو؟

وضع عليّ عينيه مباشرة في عيني والده بعد أن سكنت ملامحه وقال:

_ إنّه لم يولد بعد، لكنّه أتاني وتواصل معي.

هنا عزم السيّد لزهاري على أخذه للشّيخ فور طلوع الشّمس، لكن علي كان يعلم أن لا أحد سيصدّقه وأن هذا الشّيء حقيقيّ وليس مجرّد كابوس عاديّ وطمأن والده بأنّها ستكون آخر مرّة وأنه قد وجد حلّاً لكوابيسه، لم يستسغ السيد لزهاري كلامه لكنه أوماً برأسه منهياً هذا الحوار وهذه الليلة وعاد إلى مضجعه تختلط عليه علامات النعاس والقلق.

نزل من على المكتب وأعاد غلق باب الغرفة وجلس على سريره ومدّ روايته بعناية بجانبه مثل الأب الذي يمدد ابنته الصغيرة التي نامت للتو، وأحضر صندوقه الخشبي ووضعها داخله ونقش على الصندوق اسم روايته ثم تهالك مسندا ظهره إلى الجدار الذي كان ملتصقا بسريره ولم يبق مكان في غرفته إلا وامتلاً بالأوراق التي كتبها والرسومات والمخططات الغريبة على غرار روايته. وضع سيجارته في فمه وهمّ يحرق أعواد الثقاب واحدا تلو الآخر مستمتعا بمشاهدتها تحترق أمامه، حتى إذا ما شاركه العود آلامه وتقاسم معه القليل من أوجاعه رماه بعيدا مشعلا بعد ذلك عودا آخر، أدرك أنه قد تخلص من كوابيسه المستمرة إلى الأبد فقبل فترة كان هذا الحلم يستمرّ بعد الاستيقاظ ولم يكن كذلك الكوابيس التي يهرب منها الإنسان فور أن يستيقظ بل كانت تلازمه طوال الليل، تلك الأصوات الغريبة وذلك الألم الفظيع في رأسه وأسفل أذنيه وفي أمعائه إنه شعور متعب فقد طالت عليه تلك الحالة، وقد بدا أنه عندما رأى أول مرة أنه في مكان مكفهر دامس لا يقدر على الحركة ولا الكلام ثم يبدوه طنين مزعج لم يعلم هل كان يسمعه بأذنيه أم برأسه أو ربما كان الطنين يصدر من داخله! وفي هذه اللحظة يكون في أمس الحاجة إلى الصراخ وهنا كان يتمثل كابوسه الفظيع حيث يعجز عن الصراخ وهو في أمس الحاجة إليه.

والأشد إيلاما أنه صار يعلم كل ليلة أنه في كابوسه وأنه سيستيقظ، وفي كل مرة كان يحس بذلك العجز القاتل وكأنه خارج حدوده الجسدية لا يملك أي سلطة عليه ويكون عاجزا حتى على تلك العملية التي لا تخضع لحسّ الواعي فقد كانت أنفاسه تتوقف وكان عقله يتخبط بين الطنين ومحاولة فهمه للمشهد وبين العودة لجسده واستنشاق بعض الهواء أو الصّراخ، إنه شعور قبيح قد يكون أقبح من الغرق في حدّ ذاته، فالغريق يتهيّأ عقله لتلك الحالة ويموت وهو يعلم أنه يغرق وقد تمثّى في الكثير من المرات أن لا يصحو وأن تنتهي هذه المعاناة بالغرق، نعم كان يغرق وما إن ترجع إليه أول أنفاسه ويحس بجسده حتى يذهب مباشرة إلى أحباله الصوتية والتي تتسبب في إيقاظ السيد لزهوري كلّ مرة، لكنه بعد مرور فترة ليست بالطويلة على بداية تلك الكوابيس وجد حلا لذلك الطنين الذي كان يلازمه طوال الليل وبدأ في الكتابة، فالكتابة هي وسيلته للهروب من أي شيء يوّد الهرب منه، كانت طريقة رائعة وعلاجا فعلا ابتكره قبل 34 سنة عندما توفيت أمه فوجد ذلك الطفل الصّغير ذو الثمان سنوات مواساته في الكتابة، حيث يكتب لأمه كل ما يحدث له وما يشعر به وما إن ينتهي من سرد يومياته لأمه حتى يرتاح من أي شيء يؤرقه، وبالفعل فقد وجد مخرجا لصراخه الناجم عن كابوسه المرعب وعلم أنه فور ما ينتهي من الكتابة عن كابوسه سينتهي كل شيء وستتوقف تلك الأحلام عن زيارته.

كتب علي عدة قصص لكنّه لم ينشر أي واحدة فقد رفض كلّ الناشرين في العاصمة كتاباته، وطبعاً كان هذا الأمر صعباً عليه في البداية وسبّب تدهور حياته الزوجية قبل 4 سنوات ولكنه تجاوز ذلك كالمعتاد على آله الكاتبة ميسون فقد اعتاد على تسمية أشياءه وسمى آله الراقنة ميسون وقلمه أسماه دبور وكان يتخذ لكل شيء اسماً معيناً، ومرّ على أمر طلاقه وكأنما طوى تلك الصفحة ناسياً زوجته وابنته قدس التي تركت السيد لزهاري في حالة مزرية بعد أن أصبح يعيش هو ومجنونه لوحدهم، وقد أثر ذلك على الجد تأثيراً قوياً.

انتبه على آخر عود ثقاب وهو يحرق طرف سبابته وإبهامه فأوشك على رميه بيد أنه تذكر سيجارته المستقرة على جانب فمه والتي لم يشعلها بعد، فتحمل المزيد من اللسع وهمّ يحرقها وهو يصدر غمغمة غاضبة ربما كانت شتائماً وسباباً موجهة لعود الثقاب، فحتى الجماد لم يسلم من بذاءته! وراح ينظر إلى الرواية التي أكملها أخيراً وتبين له اللغز الموجود بها منتشياً بما حققه، متلذذاً بنكهة النيكوتين المرة وهو يخاطب نفسه:

إنها رواية حقيقية يجب أن يراها جميع من في هذا العالم، ليست كذلك القصص السخيفة التي كنت أكتبها، ترى هل سيقوم الناشر بقبولها؟ ولم لا! إنها رائعة وقد أمضيت في كتابتها العديد من السنين وأنا أتحمّل الكوابيس طوال هذه المدة، ولن يجدوا رواية كهذه أبداً. نعم سيجنون

لرؤيتها وسأشارك العالم كابوسي الرائع، أنا كاتب وخلقت كي أكون كاتباً، سأساعد البشرية على الهروب من الواقع الكاذب، سأبين للعالم بأن هذا الواقع ما هو إلا عبارة عن كذبة كبيرة تصنعها حواسنا وأن الحقيقة تكمن في الخيال، تكمن في ذلك المكان الذي لا تستطيع الحواس الولوج إليه حيث الخلود والكمال حيث الحقيقة والجمال بعيداً عن سجن الجسد المحدود، أين نسير دون عوائق المكان والزمان أين نفهم التواطؤ الذي حدث بين الطبيعة وحواسنا، هنالك فقط سنتعرف على المشاعر والأحاسيس حيث يمكننا رسمها أو حتى يمكننا مخاطبتها، وسنتحدث مع الحب ونتحدث مع الكبرياء والكراهية والحقد والضعف والخوف، هنالك فقط سندرك تدليس حواسنا وأكاذيب الطبيعة المستمرة، ربما عندئذ ستفهمني زوجتي ولن تنفصل عني وسيقتصر دوري بأن أكون زوجاً لها فقط...

يا له من عالم رائع، يجب أن يعرف الجميع ذلك العالم ويتعاملوا مع الطبيعة والحواس بخساسة لأنهم سيزولون معاً في وقت واحد وهناك تكمن الحرية ويكمن الإدراك الحقيقي غير الخاضع لسلطة الحواس، فقط في ذلك المكان يمكنني العودة إلى زوجتي.

آه لو أستطيع أن أجد كلمات أشرح بها ذلك لها، لكن.. اللعنة! ستخونني الكلمات كما خانتني الحواس في كل مرة.

ينهي علي دخانه ويجد نفسه لا يزال بحاجة إلى مزيد من نكهة القطران
بعد هذا الموضوع الذي استهلكه، ولم يشعر بنفسه إلا وهو مستقل
بجانب أوراقه مستسلما للنوم بعد أن أكمل معزوفته لهذا اليوم.
كانت الآلة ميسون مكّبة على وجهها فوق المكتب متمسكة بطرف ورقة
توشك على الإفلات في مشهد تراجيديّ تغمره إضاءة خافتة ناجمة
عن تسلّل أشعة الشمس من الاهتراء الموجود في النافذة ومصحوبة
بمقاطع لشخير علي.

-انهض يا بني! قالها السيد لزهاري.

_أبي صباح الخير ماذا هناك؟

-السيد لزهاري: هيا بنا فقد تقصّيت ووجدت راقيا جيدا ربما سيجد حلا
لعلتك هذه.

- دعنا منه يا أبي، أريد النوم.

-السيد لزهاري: هيا انهض! لقد تعبت من علّتك هذه عسى الله أن
يشفيك على يده، إنه شخص مبارك وسره باتع فقد شفيت على يده
زوجة الخباز منصور ويزوره الناس من كلّ فج، وقد نويت أن آخذك إليه.
-لا يا أبي لن أذهب معك، وأعدك إنني سأكون بخير.

-لا تجادلني سنذهب يعني سنذهب!

ارتدى قشّابيّته البنية التي كانت لوالده وآلت إليه والتي كانت تغنيه
لعدة أشهر عن تكلف الملابس حيث لا يهم ما الذي يرتديه تحتها، وحمل

روايته ووضعها في كيس من الكتان المهترئ ونزل مع أبيه عند سالم السفناج أين كان العم منصور في انتظارهم، طلب علي كوبا من الشاي ورغيفين من السفنج كما طلب والده مثله واكتفى العم منصور بكوب من الشاي وبدأ في الحديث عن بركات الشيخ الهواري وسره البائع وسحته الجميلة والحالات الخطيرة التي شفيت على يده، هنا استأذنهم علي وهرع ليشتري علبة ثقاب جديدة فهو لن يذهب إلى الراقي دون أن يكون قد نفث كسل النوم مع دخانه وانطلقا صوب الشيخ الهواري بعد أن ودّعا العم منصور.

بدأ الشيخ الهواري يقوم بتمتمات واضعا يده على جبهة علي قال بكل حذقة إنها قرآن لكن علي لم يفهم كلمة مما كان يقول، وبدأ الشيخ مركزا وكأنه عرف حالة علي بالضبط والسيد لزهاري يشاهد بانتباه، غير أن عليا كان متأكدا من أن الشيخ يدور في واد آخر رغم أنه حاول شرح حالته للشيخ بعناية ودقة، أفضى هذا اللقاء على أن علي عنده نوع من المس وأخذ معه علاجه والمتمثل في القليل من المياه المباركة وحجاب يضعه تحت وسادته.

لم يصدق علي أنه قد تخلص من تلك المسرحية أخيرا، ترك والده فور خروجهما وهمّ مسرعا نحو محطة الحافلة ليقوم بحجز تذكرة إلى الجزائر العاصمة التي تبعد قرابة السبعمئة كيلومترا عن قريته، قاصدا الناشر الذي سيعرض عليه روايته.

لحسن

جلس لحسن قرب السفينة الفضائية المصنوعة من الفخار والتي كانت موضوعة فوق الطاولة، ممسكا بالرسالة يقلبها ذات اليمين وذات الشمال يريد أن يقرأها ولا يريد، يشم ريحها تارة ويضمها تارة أخرى، إنه يكاد يعلم محتواها بل وكأنه قرأ كلماتها، كان يشعر بروحها تحوم حوله وقد علم أنها كتبت له هذه الرسالة قبل وفاتها بيومين وأن والده تعمد إخفاءها طوال هذه السنين وأنه قام بإخراجها الآن لغاية في نفسه ولشيء ذي مغزى.

لم يقم لحسن بقراءتها منذ أن أعطاها له والده قبل أسبوعين في الجزائر ومنذ ذلك اليوم وهو يجلس بجانبها دون أن يفتحها. تقدم الأب من ابنه حزين الطالع ولم تكن علامات البكاء قد غادرت سحنته بعد قائلا:

_تفضل... إنها رسالة من والدتك يا بني، لقد كتبتها لك قبل وفاتها وها قد حان الوقت لأعطيها لك وأتمنى أن تقرأها قبل أن تنطلق في رحلتك إلى المريخ لأنها تتعلق بمصيرك، إنها رسالة من الماضي ومن المستقبل إنها رسالة من عالم آخر قد تصدمك ولكن عليك أن تتأكد أنها كتبت بمداد من الدموع وقلم من عالم لا يجف حبره، وعليك الآن أن تحدد مصيرك بنفسك.

— إنك تخيفني يا أبي وتثبط من عزيمتي وربما هي مشاعر الأبوة قد أثّرت عليك بعد أن اقتربت رحلتي. قالها لحسن وهو يستلم الرسالة من والده مداعبا إياه بتلميحات عن كبر سنه ساخرا من مشاعره، يريد بذلك طمأنته وتحسين مزاجه.

كانت السفينة المصنوعة من الفخار أمامه بعد أن أعاد أجزاءها وألصقها بالغراء عازما على قراءة الرسالة التي كان واضحا من ارتعاش يده أنها مخيفة كما أن مشاعره قد تغيرت منذ أن سقطت السفينة على الأرض متناثرة لعدة قطع وهذا ما جعل زوجته حسناء تقول أن انكسار السفينة ما هو إلا نذير شؤم وأن عليه أن يعدل عن فكرة الذهاب إلى كوكب المريخ وأن عليه نسيان هذه الرحلة من الأساس، لم تتوقف زوجته عن محاولة ثنيه عن الرحيل ولم تأتئها فرصة إلا وأخبرته عن نذير الشؤم وتحطم سفينة الفخار والكوابيس التي تأتئها كل يوم، وعندما عاد بها إلى الجزائر ليركها مع والده خلال مدة رحلته ها هو الأب يخرج له بموضوع هذه الرسالة ويحثه على البقاء دون أن يفصح بذلك، لكنّ جميع تصرفاته كانت توحى بكل شيء وهذا الذي أزعج لحسن وجعله يتردد في قراءة الرسالة.

"عزيزي وولدي الغالي لحسن بما أنك تقرأ الآن رسالتي فأنت قد عزمت أخيراً على المغادرة، لذا يجب أن تعلم أنني سأكون بجانبك كما كنت دائماً ويجب أن تعلم أنني دعوت وسأدعو لك دائماً، يجب أن تكون شجاعاً ومؤمناً بالقدر، أن تبحث عن الحقيقة وأن لا تستسلم فكل شيء سيبدو كالحلم في النهاية وكل اللحظات ستكون لحظة واحدة وكلنا لله ذات يوم راجعون فلا تيأس وامش نحو حلمك ومسارك، وتأكد أنك لن تهرب من قدر الله سوى إلى قدر الله وأن الطرق مهما اختلفت فالمحطة واحدة.

لتكن متأكداً عزيزي لحسن أنك ستجدي دائماً معك وبقربك ولن أتركك أبداً يا قطعة من روحي."

أمك ♥

فريال

مرّت الكثير من الأيام والليالي بعد صعود الراصد إلى المدار وعمّ هدوء غريب جدران بيت فريال التي أصبحت الآن مزينة بالشّهادات والتكريمات بدل تلك الأوراق والمنحنيات فقد أكملت التحدي وتحقق مبتغاها وكان ذلك أقصى ما تريد حتى إنها لم تفكر في هذه اللحظة، لم تكن تفكر سوى بإيثري وها هو إيثري يغادر وها هي فريال تجد مساحة فراغ رهيبه لم تكن تفهمها ولم تدرسها بذلك العمق المطلوب، وقد عرفت أن الأهداف تتغير بمجرد الوصول إليها وأن الإنسان كائن مرعب وغير مفهوم يواصل التخبط في معرفة ماذا يريد وعندما يتوصل إلى الشيء الذي يريده يبدأ التخبط في محاولة الحصول عليه، وعندما يتحصل عليه أخيرا وينتشي به مدة معينة ويرضي أنانيته لفترة ينسى بسرعة كل مجهوداته وتعبه ولا يعطي فرصة لنفسه ليضيع من جديد في تخبطه بحثا عن أمر آخر يريده، ويعيد تلك الدورة والتي سمّتها فريال "دورة التخبط الغبية"، أين يفقد الإنسان فيها أشياء كان يحلم بها وضحى من أجلها في سبيل أشياء أخرى وأحلام جديدة ولا يربط بين أهدافه ليحافظ عليها، وهنا يحدث الخلط بين الأهداف وبين الجشع النفسي لإرضاء المشاعر الشريرة وأنانية هذا المخلوق المرعب.

ذلك اليوم كانت فريال تنتظر زيارة زوجها الذي قدم لأخذ ابنه كي يمضي معه القليل من الأيام وفي داخلها نوع من الحسرة والندم وقد حاولت جاهدة لتشعر عكس ذلك، لكنها أحست بالندم ولم تستسغ فكرة أنها وعمر يعيشان دون ذلك الرابط كل على حدى وأنه صار لكل منهما حياته الخاصة، فلم تكن تتصور نفسها إلا وهي مع عائلتها فقررت أنها يجب أن تتحدث مع عمر حول انفصالهما وأن تلك المرحلة قد مرّت بسرعة دون التفكير فيها، وأحسّت أن كل هذه الأحداث باغتتها وأنها انغمست في عملها انغماسا شديدا.

خلال هذه الأثناء سمعت طريقة السيد عمر المميّزة على الباب والتي كانت متعمّدة منه حيث يطرق ثلاث طرقات متتابة وتليها بعد لحظة طرقتان سريعتان، اختلجت أطرافها وتغيّرت نبضات قلبها وأشع وجهها العريض لفرط الدوبامين الذي انهمر من دماغها معلنا قدوم الحبيب الذي تمكن ذلك الهرمون منه هو الآخر بمساعدة التيستسترون والذي كان واضحا على وجهه عندما فتحت فريال عليه الباب ورأت قطرات العرق تتخذ مسارات متفرعة على سحنته، وقد كان عمر إنسانا صادقا لا يتكلف عناء إخفاء مشاعره والتصرف عكسها، فتختلط عليه المزيد من الهرمونات.

وما كان عليه سوى أن يباشرها بالحديث مداريا التوتر الذي تصنعه
طاقة هذه الهرمونات قائلا:

_ مرحبا أرى أنني لست الوحيد المتوتر؟

فتبسمت ابتسامة دافئة يشوبها الحزن لحينها لمثل هذه الدعابات
ودعته للدخول.

قفز لحسن فرحا بمجيء والده وكان هو الموضوع الأساسي في حوارهم
الطويل، في حين صعب على كليهما استهلال موضوع آخر إلى أن سألته
فريال:

_ كيف هي أحوالك؟ هل كل شيء على ما يرام؟

_ طبعا فقد طَلَّقت زوجتي منذ فترة وأعيش بعيدا على ولدي وكل
شيء على ما يرام.

وأردف بنفس لهجته الساخرة:

_ آه نسيت أن أبارك نجاحك! لقد رأيتك على التلفاز، كنت رائعة! قمت
بعمل رائع أهنتك عليه وأتمنى لك المزيد من النجاح، كنت متيقنا أنك
ستنجزين فقد قَدِّمت تضحيات كبيرة وضحية حتى بأسرتك.

قالها منتظرا ردّة الفعل المعهودة من فريال لكنها فاجأته بتقبل كلامه
حين قالت:

_ معك حقّ يا عمر، فشلت في حياتي الأسرية.

قال معزّيًا بعد أن تغيّر موقفه الساخر:

_ ربما على المرء أن يضحي أحيانًا لبلوغ هدفه، غير أنه يجب تحديد الهدف جيدًا.

_ لتعلم يا عمر أنني لم أنوي أبدا التضحية بأسرتنا، ولم يجلب بخاطري أن أفصل العمل على حياتنا، ولم أكن أعلم أن الأمور كانت ستتخذ هذا المنحى وقد حدث كل هذا بسرعة فائقة.

_ لا يا فريال، بل كان هناك وقت كاف ومساحة شاسعة صبرت فيها وحاولت أن أجد حلا وأنت من لم يكن لديك الوقت، وقد كنت وحدي حينها ولم تشاركيني في إيجاد حل آخر فاتخذت القرار بنفسي، وكنت كلما أردت الحوار معك تقابليني ببرودة وبعدم اهتمام وها نحن ذا نقوم بهذا الحوار الذي كان من المفروض أن نجرّيه حينها.

_ لكني يا عمر لا أستطيع تصور حياتي من دونك.

_ أنا أيضا، إلى الآن أنا غير مصدق أننا انفصلنا، وسنتحدث في الموضوع الأسبوع القادم عندما أقوم بإرجاع لحسن.

كان وقع هذه الكلمات مطمئنا لقلب فريال وبادرة جميلة لتصحيح الوضع، وودعتهم بنفس الابتسامة الدافئة بعد أن سكنت أعصابها وزال ذلك التوتر.

وفي اليوم التالي كانت فريال ترتب غرفة ابنها وقد قامت بتعليق صبورة صغيرة وقصاصات تحتوي على صور حيوانات لتعليمه الحروف الأبجدية، ألصقتهم بالترتيب على الصبورة لتباشر في تعليم ذلك المخلوق الجميل المفعم بالطاقة عند عودته، وما إن فرغت منهم جلست أمامهم تتفحصهم بعينها وقد توسّعتا وسكنت ملامحها كأنما رأت شبحا.

لم تكن تعلم أن هذا الذي رآته سيقرب حياتها وأن هذه الفكرة التي طرأت في ذهنها ستأخذ بها إلى المستقبل وإلى مناطق سحيقة في هذا الكون.

في تلك الأثناء كان لا يزال الراصد يستقبل تلك الموجات كلّ يوم وبنفس الطريقة وقد التقط صورا حديثة وجدّ دقيقة للعديد من المناطق في المجرة، وكان الفريق المختص في دراسة تلك الموجات لم يتوصل بعد إلى معرفة كنهها فربما تكون لمخلوقات على كوكب آخر أو طاقة ناتجة عن حركة النجوم.. كل هذه الاحتمالات كانت قيد الدراسة.

وهذا الأمر لم يكن بتلك الأهمية عند فريال التي اقتصرَت مهمتها على إطلاق الراصد وإدارة الوكالة، لكن الفكرة التي استنتجتها وهي في غرفة ابنها أزعجتها وأرادت التأكد منها.

لم تمضي تلك الليلة إلا وقد أخرجت فريال كل تلك البيانات والمنحنيات المتعلقة بتلك الطاقة الغريبة وفي الصباح اتجهت رأساً إلى الوكالة وقامت باستدعاء زميلتها المتخصصة في علم الفلك على عجلة وطلبت منها جميع الأبحاث التي قام بها فريق الترددات ورجعتا معا إلى المنزل.

_ انظري يا لويزة.

_ ما هذا؟! قصاصات للحروف الأبجدية؟ هل ستقومين بتعليمي الحروف من جديد؟

لم يأتها أي رد من فريال التي قامت بتعليق تلك الملصقات في خط واحد والتفتت تتفرس في ملامح صديقتها التي كانت تقلب عينيها بين الملصقات وبين فريال حاملة كتفيها ومثنية لشفتها السفلى تنفي بذلك فهمها لأي شيء.

_ هل فهمت ما يعنيه هذا يا لويزة؟

_ لم أفهم أي شيء، ما علاقة قصاصات الحروف بتلك البيانات؟

_ انظري، إن عدد تلك الموجات المتقطعة هو 28 وعدد الحروف الأبجدية كذلك 28.

وعندما رُسمت على منحنى بياني كانت كلها مختلفة وكل موجة ليست كسابقتها، ألا يعني هذا أن مصدر هذه الموجات يريد أن يتواصل معنا وأنها عبارة عن لغة معينة؟

بهتت لويضة لسماعها هذا الكلام وحزّكت ثغرها الذي فتح على مصرعيه
مخاطبة فريال:

_ حسنا لنفرض أن استنتاجك صحيح، كيف ستعلمين الحرف الذي يرمز
إلى كل تردد؟ فهذا التردد مثلا -وأشارت إلى أول ورقة- هل هو يعبر عن
الألف أو الباء أو التاء... كيف ستفرقين بينها؟

_ هذا ما سأكلّفك به الآن يا لويضة، عليك بمطابقة الترددات الطويلة
التي رصدها إثري في البداية وتضعيها على شكل جمل ثم تدرسين
احتمالات الحروف، وربما نصل إلى تحديد كل تردد ومطابقته بالحروف
الأبجدية فنحدد كل تردد بما يقابله من الحروف.

_ لكن يا فريال الموجات الأولى طويلة وهذا يعني وجود احتمالات
لا نهائية لمعرفة الحرف الذي يرمز لكل تردد، كما أنهم حددوا مصدر
الصوت بملايين السنين يعني لو فرضنا جدلا أن هذه رسائل من كائنات
من كوكب آخر فقد مرت عليها آلاف السنين حتى وصلتنا، وهذه
الكائنات ربما تكون قد تحوّلت إلى عظام بالية أو لا أدري ممّا تتكون
بنيتهم الجسدية، المهم أنهم قد ماتوا وشبعوا موتا.

_ وهذا يعني يا لويضة أنك ستقومين بقراءة رسائل كائنات أخرى، وربما
ستجدين علما جديدا أرسلوه لنا، أو ربما هي رسائل تهديد لكوكبنا، أو قد
تكون مجرد كلمات لشاعر فضائي ألهمته معشوقته الفضائية فنكتشف
قصة رومانسية في آخر المجرة!

المهم أنه سيكون اكتشاف العصر وانطلاقة جديدة في علم الفلك فلا توقّري مجهودك في دراسة الاحتمالات، وليكن هذا سرا بيننا إلى غاية التأكد من صحته.

_ حسنا ليكن، وهل تقابلت مع عمر البارحة؟

_ نعم وقد أخذ لحسن ليقضي معه الأسبوع.

_ وهل تكلمتم حول موضوع طلاقكم؟

_ حسنا الأفضل أن نتكلم لاحقا حول هذا الموضوع، وباشري مهمتك الآن وإن توصلت إلى أي مستجدات أبلغيني.

في تلك الليلة استقبلت فريال على بريدها رسالة مفادها أن إيثري قام برصد موجات مختلفة واتصلت هي الأخرى بلويزة وأبلغتها بهذه المستجدات، وأكّدت لها أن هناك شيئا يريد التواصل معهما وربما سمعهما وقد أمدهم بموجات جديدة حتى تتمكنوا من تشفيرها، وقد أعلموها بأنها موجات ليست بالطويلة وهذا يعني أن الاحتمالات لن تكون كثيرة جدا وعليهما العمل عليها في الغد.

وكما توقعت فريال فقد كانت الترددات قصيرة عددها واحد وعشرون 21-، وعندما رسمت منحنياتها تبين أن هذه الترددات تتكون من الترددات الأولى ومنحنى كلّ تردد كان يتكون من عدة موجات من الموجات الثمانية والعشرين الأولى، وأدركت أنها كلمات تتكون من تلك

الحروف فبدأت بوضع الاحتمالات وبجانبيها كلّ المنحنيات، وشرعت تستبدل كل منحنى بحرف أبجدي وكانت تخرج لها كلمات مبعثرة دون أي معنى وواصلت هي ولويضة احتمالات الحروف عليهما تتوصلان إلى كلمات مفهومة وتكتشفان كل منحنى وما يقابله من حرف، وقد حرصتا على أن لا تعلم الشركة بذلك حتى تتأكدا من صحة هذه الفرضية، كما أن فريال كانت قد أحسّت بأن هذا الشيء يقودها لأمر معين ويريدها أن تصل إلى نتيجة لا تزال تبحث عنها، وأن كل هذه الأحداث والإشارات المتتابة لا بد وأن وراءها سرا ما.

لم تنتبه فريال إلا مع نهاية الأسبوع وعودة عمر رفقة ابنتهما وقد انصدم من ذلك المشهد المرعب الذي تسبب في انفصالهما من البداية، فقد تبهرجت الجدران من جديد بالأوراق والمنحنيات وعمت الفوضى المكان وكان كلّ هذا خلال أسبوع واحد من الزمان فسألها مندهشا:

_ أرى أنكم تريدون إرسال راصد آخر إلى الفضاء؟

_ إنها مستجدات مهمة يا عمر ويجب أن أعمل عليها.

_ حسنا لقد جئتك اليوم لتتكلم عن علاقتنا، وأنا عن نفسي أريد العودة إلى حياتنا السابقة وهذا لن يكون إلا بتفهمك أنت يا فريال لسبب خلافنا وقبولك بفتح صفحة جديدة.

_ طبعاً يا عمر فأنا لم أكن أرغب في الانفصال من البداية، وأريد العودة من كلّ قلبي وجوارحي.

ظل عمر خلال الأسبوع الفارط يفكر في العودة إلى فريال وخاصة بعد أن أحسّ بندمها وبرغبتها في تصحيح الأمر، وكان يبتسم كل ما تذكر ذلك اللقاء الجميل ويعبس حين يتذكر عنادها الأول، وها هما الآن لا تفصلهم سوى القليل من الجمل على لَمّ الشمل مرة أخرى وعودة السكينة والأنس على بيتهم، فبادرها يسأل:

_ عزيزتي فريال إن هذه البيانات المعلقة الآن على الجدار كانت السبب في انفصالنا، وها أنا أراها مجددا فهل لديك أي شيء تقولينه لي الآن حول ذلك؟

_ لقد أخبرتك يا عمر أنه هناك بعض المستجدات المهمة والتي سأحاول أن أكملها عن قريب، كما أنك دائماً ما شجعتني وكنت سندي وإني لا أشعر بالارتياح يا عزيزي منذ أن بدأت هذه الترددات في الظهور وقد عزمت أكثر من مرة على نسيان موضوعها، لكنها تطاردني حتى في أحلامي وصدقني أنا أوشك على التخلص منها.

_ لتعلمي يا فريال أن هذا الوضع يزعجني كثيراً وأني غير قادر على تحمله، كما يجب أن تعلمي أنني قد عدت إلى التدريس في العاصمة وكل شيء على ما يرام، وإني الآن أقترح عليك الذهاب معي إلى العاصمة

والابتعاد عن هذه الوكالة الغبية التي لم تجلب علينا سوى النكد وعدم الاستقرار ونبدأ حياتنا من جديد.

_ أنت الآن تختيرني بين عملي وبينك يا عمر، وإنني لأرى أنك لم تفكر مليا بالموضوع!

_ أبدا عزيزتي بل أنا أريد إبعادك عن شيء دمر علاقتنا وحال بينك وبينني، ولا زلت عند وعدي فلن يقف شيء في وجه سعادتنا، كما إنني قد جئت إلى وهران وغيّرت عملي فقط من أجل عائلتنا فلم قد يصعب عليك أنت ذلك؟

أكمل عمر كلماته مقدما هذا العرض الذي رأيته فريال وكأنه عرض أخير غير قابل للنقاش، وأنه لم يترك لها أي مساحة للاختيار، فلربما يريد معاقبتها أو أنه يرى تغييره لعمله تضحية ويريد جزاء لها، فالإنسان ورغم ذكائه الاجتماعي إلا أنه يبقى إنسانا والأنانية جزء لا يتجزأ من تكوينه ولا يستطيع أن يتغلب عليها طوال الوقت، فها هو عمر الذي تغلب على أنانيته وانتقل من عمله لأجل زوجته قد تمكنت منه الأنانية من جديد فكما ضحى هو حان دور زوجته لتضحى وتجازيه لتغلبه على أنانيته في السابق وهذه هي الأنانية بعينها، وفريال ترى أنّ زوجها الذي كان سهلا عليه تغيير عمله يستطيع أن يفعل ذلك من جديد وأنه لا يريد بذلك سوى معاقبتها وأنها بقبولها لعرضه سيتحقق العقاب وهي لا تريد أن تعاقب ليفوز زوجها وها هي الأنانية تعود من جديد.

ولو تكلمنا على هذا النحو ربما كان الكلام سيكون أسهل وربما يقودهما
إلى حل يرضي كليهما لكنهما ضاعا في كثرة المعاني وشح المصطلحات
وغباء العواطف.

علي

بعد أن رفضت جميع قصصه عزم على عدم الذهاب إلى الناشر مجددا وظلّ يكتب لنفسه وفقط لكنه كان يعلم أن هذه الرواية ليست كتلك القصص السخيفة بل يجب أن يقرأها كل إنسان، كان يعلم أنها تحتوي على سر مخفي وبين سطورها حكاية الإنسان الحقيقية، ذلك الإنسان الضعيف جدًا الذي تاه منذ زمن ولم يعد يبحث عن الطريق حتى أنه نسي أنه تائه وتأقلم مع الوضع كما يفعل دائما.

كان علي يتمتع بلوحاته الطبيعية خارج نافذة الحافلة ويدور في أحداث رواية داخل خياله، كما يفعل كل كاتب حلت عليه لعنة الرواية أو ربما هذه الروايات تدور في عقول جميع البشر دون استثناء والاستثناء فقط في من يكتبونها، حينها توقفت الحافلة للتزود بالوقود وليرتاح المسافرون ويلبوا حاجاتهم البيولوجية.

نزل علي وسيجارته في فمه قد وضعها مباشرة بعد توقف الحافلة وأشعلها فور نزوله وتوجه إلى المقهى لينعم بالخليط المميز للكافيين الممزوج بالنيكوتين، فدخل الدخان إلى رئته ويلتقي بأصدقائه هناك ليرسل معهم تحياته إلى كامل الجسم ويعود ليخرج من قصبته الهوائية متوجها إلى الثغر حينها يلتقي بالقهوة لقاء سريعا فتنجح عن هذه العملية تلك النكهة السوداء وتكرر لعدة لحظات.

_ إن هذا الدخان سيقتلك يا صديقي!

التفت علي ليرى الشخص الذي وجه إليه السؤال وكان نفس الشخص الذي لم يتوقف عن الكلام طوال الرحلة والذي أراد علي أن يقاطعه في كل مرة حيث كان معترضا على جلّ الكلام الذي كان يتفوه به ولكنه لم يفعل واكتفى بالسماع وهذا ما حرك داخله الشعور بالغضب وردّ عليه:

_ نعم أعلم ذلك وشكرا على النصيحة.

_ ولماذا تدخن إذا؟

أراد علي أن يكتفي بالسكوت كما فعل طوال الرحلة لكنه استحي فالسؤال موجه إليه ولا يوجد وسيلة للهروب منه وقال:

_ لماذا تعيش أنت إذا؟

_ ماذا؟ أنت تجيب على سُؤالي بسؤال آخر!

_ لأن الجواب على سؤالك لا يكون إلا بهذا السؤال يا سيدي.

لماذا تعيش؟ فالحياة تقتلك أيضا ولكنك تحياها والأكل يقتلك ولكنك تأكل.

إنك يا صديقي حينما تهددني بالموت لأقلع عن التدخين فأنت تهددني بالحياة وكأنك تقول لي إن هذا الدخان سيحييك لأن الموت هو نفسه الحياة.

إننا نموت في كل مرة وكل يوم وكل لحظة وإنك تحيا الآن لأن الموت يسير في أطرافك، إن ملايين الخلايا في جسمك تموت كل لحظة وملايين الكريات الدموية الحمراء والبيضاء تموت ويشيع جسمك كل يوم الملايين من الموتى داخله في هدوء وصمت وإن توقف هذا الموت لحظة واحدة فإن جسدك هذا لن يحملك من جديد، إنك تحيا بالموت الذي يسري في عروقك دون أن تشعر أو تتألم وستحيا للأبد عندما تموت للأبد ولن تشعر به كعادتك بل ستشعر بالحياة الحقيقية.

لتعلم يا صديقي أن مفهومنا للموت خاطئ فلا يوجد موت بل يوجد استمرار، فالجسد يستمر بالموت وعندما يموت هذا الجسد مرة واحدة ستحيا أنت مرة واحدة، وهذه السجائر تدخل إلى جسمك مثلها مثل الطعام والماء وتساعد في عملية القتل المستمرة تلك وعندما يتوقف ذلك القتل ستموت كلك وهناك ستحيا كلك. فالموت والحياة مصطلحان لشيء واحد وما جسدك هذا إلا وسيلة عبور للحياة.

لذا عندما أجبته أنني أعلم أن السجائر ستقتلني كنت أعني ذلك على هذا النسق، وكان بالأحرى أن تقول لي إن هذه السجائر ستتعب وسيلة عبوري وتزيد من المطبات في الطريق وحينها كنت سأتفق معك.

ولم يكده علي ينهي تصويره حتى صدمه زميله في السفر بسؤال آخر:

— يعني أنت لا تخاف الموت؟

_ لا يا صديقي بل أخاف الحياة وما الخوف إلا ردة فعل للجهل، فنحن نخاف عندما نجهل، والإنسان القديم كان يرتعد خوفا من الرعد والبرق لأنه كان يجهلها وفور إحاطته بهما بات البرق لا يخيف بل شيئا ممتعا وربما رومانسيا، وهذا الإنسان التافه يخاف من أي شيء ثم يذهب الخوف بعد الاعتياد والعلم بذلك الشيء ويخاف من جديد لأي شيء لم يحط به علما.

فلو متنا جميعا ثم انبعثنا من جديد هنا لكان الموت أمرا عاديا، إننا نخاف من الأمور غير الاعتيادية والموت بالنسبة لنا غير اعتيادي لكنه سيصبح كذلك بعدما نموت ويذهب ذلك الخوف فلا تستعجل.

_ يبدو كلامك جميلا لكنني لم أفهم أي شيء هل أنت طبيب؟
_ لا أنا كاتب.

_ أه رائع وهل توفر لك الكتابة دخلا جيدا؟

_ أنا لا أكتب من أجل الدّخل أيها الغريب أنا أكتب لأترك أثرا يخلد اسمي فكما تعلم منطقة العبور هذه أو كما تسميها أنت الحياة، ينسى فيها الإنسان بمجرد غياب جسده وإن ما يتركه الإنسان بعد غياب هذا الجسد هو قطعة خالدة من روحه لا تحتاج إلى الموت لتحيا لا تحتاج إلى احتراقات عضوية لتستمر وهذه فكرة رائعة عن الخلود فالأفكار هي طاقة موجودة لا تموت، موجودة في أبعاد لا نستطيع رؤيتها لكن

نستطيع الإحاطة بها مثلها مثل الضوء والجاذبية، والإنسان وجد وسيلة رائعة للتمكن من هذه الأفكار وهي الكتابة، وبهذا إنني عندما أكتب سأترك جزءاً من روحي أستطيع أن أتواصل به مع من يريد التواصل بعد مروري إلى العالم الآخر، العالم الحقيقي.

وكالعادة يفاجئه الغريب بسؤال آخر هروباً من التفكير الذي بدا أنه يرهقه جداً:

_ وهل تعتقد أن هذا الذي تريد تركه هو صحيح أي أن من سيأتي بعدك سيستفيد منه؟

_ طبعاً أيها الغريب سيستفيد منه بغض النظر إن كان صحيحاً أم خاطئاً، فمعرفة الخطأ هو جزء من الحقيقة ومن يخطئ سيصل إلى الحقيقة والحقيقة لا تعتبر حقيقة إذا لم يوجد الخطأ تماماً مثل الظلام والنور فإذا اختفى أحدهما لن نعرف الآخر.

استأنفت الحافلة رحلتها إلى العاصمة وظل علي يعيد في صياغة الحوار الذي سيجريه مع الناشر ويشاهد في جميع السيناريوهات التي قد تقع في مخيلته، مستغلاً الهدوء الذي طرأ في الحافلة بعد أن صمت ذلك الشخص الذي لم يسكت طوال الرحلة ولو علم علي أن كلامه سيفضي بهذا الإنسان إلى الهدوء لتكلم معه منذ البداية.

فريال

العلاقات الاجتماعية أمر متعب والمحافظة عليها يؤدي بالإنسان إلى التنازل والتضحية وهذا أمر حتمي لكائن يعيش في القطيع ومخلوق لا يستطيع المضي وحده وهذا كله كانت تعلمه فريال مما أرق تفكيرها وأخلط حساباتها، فها هي لا تعلم هل تحافظ على أسرتها أو تكمل عملها؟ تفكر تارة في ابنها ثم حبيبها الذي انفصلت عنه وتارة في عملها ومركزها ونظرة المجتمع إليها، وقد تركها عمر لتأخذ القرار بنفسها ورمى الكرة في يدها مزيحاً عن نفسه كل تلك الضغوطات.

في إحدى الزيارات للويذة أبلغتها أنها تمكنت من تشفير الكثير من الموجات وأنها قد وجدت حروف تطابقها وأن الترددات الثمانية والعشرين قد حددت جميعاً بثمانية وعشرين حرفاً والمقاطع القصيرة التي استقبلوها في الأخير قد حددتها جميعاً وكونت واحداً وعشرين كلمة ذات معنى لكنها ورغم ذلك لم تفهم أي شيء.

سألته فريال حول المقاطع الطويلة والتي استقبلها الراصد في البداية. فأجابت بأن تلك الموجات لم تستطع تشفيرها وأن الحروف عند مطابقتها معها لا تعطي أي كلمة مفهومة وناولتها تلك الكلمات (أمي _ لحسن _ علي _ تائه _ ابحت _ المكتبة _ الشلالة _ الوسط _ الغرب _ رأس _ الأفعى _ الخنس _ شجرة _ الطلح _ محجوبة _ الصخرة _ البيض _ الحذوة _ دعة _ الحصان _ حسناء).

أنهت فريال الكلمات وأرجعت الورقة إلى لوييزة التي كانت تنظر إلى فريال مستغربة من دهشتها ومن اختلاج يدها وسألتها:

_هل فهمت شيئا كأنك رأيت شبعا؟

_ لم أفهم أي شيء لكن هذه الكلمة لطالما كنت أسمعها في أحلامي، كنت أسمع صوتا ينادي (الخنس، الخنس، الخنس) إن هنالك أمرا غريبا يا سمية يدور هنا؟

انذهبي إلى الوكالة وأبلغهم عن تطابق الموجات بالحروف واحتمالية وجود اللغة ولا تذكرني أي شيء عن أحلامي.

لم يمر الكثير من الوقت عندما اتصل عمر ليطمئن وكأنما بلغه شيء ما.

_ هل أنت بخير يا فريال؟ وهل لحسن على ما يرام؟

_ نعم ما بك يا عمر أراك على غير سجيتك هل هناك ما يزعجك؟

_ لا فقط أردت الاطمئنان الحمد لله أنكم بخير سأعيد الاتصال لاحقا إلى اللقاء.

أحست فريال أن هنالك شيئا ما وأن صوت عمر لم يكن مطمئنا، لكنها كانت غارقة في تلك الكلمات التي ترجمتها لوييزة والتي كان اسم ابنها موجودا بينها وهذا ما أزعجها وأدركت أنها تتخبط وسط لغز وأحجية مرعبة لا مفر من حلها، وعلى غرار اسم ابنها هناك كلمة الخُنس والذي لم يتوقف ذلك المنادي في أحلامها عن تكراره كل يوم فما هو سر هذه الكلمات؟ ومتى سينتهي هذا الكابوس؟.

وكعاداته يأتي الزمان بما لا يشتهي المرء مخلطا كل مخطط وموقعا لكل متوقع فقد مرّت على فريال عدة أيام من الصداق الشديد والغثيان وعزمت على الذهاب إلى الطبيب والذي أنبأها بأن أيامها القادمة معدودة وأن الورم الخبيث قد عاث فسادا في جسدها.

في تلك الأثناء كانت فريال قد فقدت تلك الحيوية الرائعة وتاهت بين الحسرة والألم والاشتياق الذي يشताقه الإنسان لأقاربه عندما يفكر بالموت وبذهابه إلى الأبد، وهذا الشعور هو الذي يقتل الإنسان أكثر من أي ورم أو مرض عضوي آخر.

وهذا ما أحس به عمر منذ مدة وكان يها تفها يوميا وكأنه علم بأن مصيبة ما ستحل عليهم وكان هذا الإحساس عندما رأى فريال تبحث في الظلام عن شيء ما يناديها وكانت تلحق به وهو يريد منعها لكنها أبعدته بقوة وتيقن أن هذا هو تأويل رؤياه.

وبعد ستة أشهر من تشخيص حالة فريال عزم عمر على الذهاب إلى مدينة البيض فلم يبق له عقل بعد أن علم بحكاية الكلمات التي تم تشفيرها، كذلك كابوس فريال الذي روته له بالتفصيل والذي كان كجزء أول من كابوسه، فالصوت الذي كان ينادي زوجته في كابوسه كان يصيح (الخنس) وهي نفس الكلمة التي كانت تسمعها فريال في أحلامها، لم يذكر عمر لفريال أي شيء عن تطابق أحلامهما لكنه كان

يبحث عن تفسير لكل هذه التداخلات وعلم من تلك الكلمات أنه يوجد تطابق بين كلمتي الشلالة والبيض وأن الشلالة قرية متواجدة في ولاية البيض، ولم يستطع الربط بين الكلمات الأخرى ولم يجد نفسه إلا وهو متوجه إلى تلك المنطقة علّه يجد أي شيء يستطيع فهمه، وكان طوال الرحلة يردد تلك الكلمات وقد أجزم أن هنالك لغزا عليه حله وأن طاقة غريبة تقودهما إلى شيء ما.

وهذا الذي كان يؤرق زوجته مما أدى إلى انفصالهما وها هو الآن يحس بما كانت تحس به فريال ويعلم أن تشتت زوجته المرة السابقة قد نجم عن هذه الأحداث الغريبة وأنه معني بها هو الآخر، فما التفسير لتطابق أحلامهما إذا؟

بعد رحلة شاقة قام بها عمر وصل إلى قرية الشلالة التي تقع جنوب ولاية البيض وكان تائها حائرا لا يعلم من أين يبدأ ولا يعلم عن ماذا كان يبحث وفيما تتمثل إبرته وأين يا ترى كومة القش، لقد قدم إلى هنا لأنه المكان الوحيد الذي استنتجه من تلك الأحجية، وها هو متوقف على قارعة الطريق يضرب أحماسا في أسداس ويعيد قراءة تلك الكلمات وأراد أن يبدأ من المكتبة فهي كلمة مذكورة ضمن الأحجية علّه يجد أي شيء هناك وبالفعل توجه إلى مكتبة البلدية والتي وجدها مغلقة وكأنما لم يتم فتحها قبل مدة طويلة وسأل عن موعد فتحها فلم يجد سوى

الاستغراب والجواب على سؤاله بأسئلة مختلفة فما الذي يبحث عنه

هذا الغريب؟ وما شأنه وشأن المكتبة؟

عشر عمر في النهاية على منزل موظف المكتبة بعد أن سأل المارة هناك

وكان منزله قريبا من هذه البناية المهجورة.

_ ضيف ربي.

_ يا مرحبا بضيف الله تفضل.

دخل عمر إلى منزل مضيفه موظف المكتبة والذي استقبله استقبالا

حارا كعادة أهل المنطقة وتبادلا أطراف الحديث ولم يجد عمر أي صيغة

يطرح بها سؤاله وما هو السؤال من الأساس! لا يوجد حتى السؤال.

_ لقد جئت من وهران في مهمة عمل وأحتاج أن ألق إلى مكتبكم كي

أجمع بعض المعلومات وأبحث عن عناوين ربما أجدها عندهم.

_ على الرحب والسعة، لكن يا سيدي مكتبتنا متواضعة وأشك في

أنك ستجد ما تبحث عنه عندها، فإذا لم تكن هذه العناوين موجودة

في وهران فكيف ستجدها هنا؟ على العموم سنذهب إلى المكتبة فور

تناولنا للغداء.

وألح على عمر أن يتناول معه الغداء ثم توجهوا إلى المكتبة.

ظل عمر يدور بين رفوفها ويتفحص كل كتاب على حدا على يجد عنوانا

مشابها للكلمات الموجودة في تلك الأحجية لكن دون جدوى، وبدأت

عزيمته تتضاعف وبدأ يشعر بالإرهاق والغضب على غرار موظف المكتبة الذي لم يتوقف عن الأسئلة فقد بدأ يشعر بالضجر هو الآخر، كما أنه كان متأكدا بأن الكتاب الذي يبحث عنه هذا الرجل المحترم غير موجود في هذه المكتبة القاحلة، بينما عمر لم يكن يعلم أصلا ما الذي يبحث عنه، فالمكتبة كلمة ذكرت في الأحجية لذا قد يكون ما يبحث عنه هو كتاب أو شيء آخر داخل المكتبة أو قد يكون شخصا ما، لذلك كان عمر في أشد الحيرة، لكنه كان يحاول على قدر تخميناته والمعطيات الغريبة التي كان يملكها.

_ قلت لك يا سيدي أنك لن تجد كتابك الذي تبحث عنه هنا، ويجدر بك أن تذهب إلى العاصمة ففيها كل شيء وبالتأكيد ستجد ضالتك هناك.
_ معك حق، إنني أبحث عن شيء غير موجود هنا، ألا توجد مكتبة أخرى؟

_ لا فهذه المكتبة الوحيدة ولولا فضل (السي مرزوق) رئيس بلديتنا السابق لما وجدت أصلا ولكنك أنا الآن شخصا عاطلا عن العمل، لكن ما رأيك لو ذهبت إلى (السي الهاشمي) فلهذه مكتبة هائلة في بيته وعلى الأرجح يعرف جميع عناوينها مما يزيح عنك تكلف البحث.

_ حقا! وأين أجد السي الهاشمي؟

_ إنه قريب من هنا فقريتنا صغيرة ونستطيع الوصول إليه دون الحاجة إلى السيارة.

_ لا بأس هيا نذهب إليه فعلى كل حال لن أترك السيارة هنا وسوف أغادر من هناك -إن شاء الله- وآسف جدا على الإزعاج يا سيدي.

_ لا بأس أنا في الخدمة وأنت ضيفنا وهذا أقل واجب، يجب أن أخبرك أن السي الهاشمي شيخ عصبي المزاج، لكنه صاحب قلب كبير وسأريك بيته وأنصرف وأتمنى أن لا تخبره أنني من دلتك إلى بيته، إنه عالم كبير كما أنه كان أستاذًا في جامعة قسنطينة وحتما ستجد عنده الكتاب الذي تبحث عنه أو قد يدلك على مكان تواجده.

لم يكد عمر وموظف المكتبة يصلان حتى همّ الأخير بالمغادرة وقال هامسا:

_ تذكر لا تخبره أنني أنا من دلتك على بيته!

أمسك عمر بالأحجية وظل ينظر إليها محدثا نفسه:

ترى هل حقا ما أبحث عنه كتاب؟ ولماذا كلمة المكتبة موجودة في الأحجية؟ وما صلة هذه المنطقة مع تلك الكلمات؟ وما الذي سأقوله للسي الهاشمي؟

آه، يجب أن أعود فأنا أدور في حلقة مفرغة ولا أعلم حتى ما الذي أبحث عنه.

في هذه الأثناء فتح الباب الذي ركن عمر عنده سيارته وخرج منه شيخ ربما قد تجاوز السبعين من عمره، حليق اللحية له شاربان معقوفان قد

تمكن منهما البياض، وله سحنة قاسية يتبين من التجاعيد التي تغطيها أن هذا الشيخ قد أفنى حياته في العمل الفكري والتدبر، وأنه قد زاول أعمالاً ذهنية قاسية كقساوة سحنته، ونظر إلى هذا الغريب الذي يقف أمام بابه بعينيه التي تكاد لا تظهر لكثافة حاجبيه، وهنا لم يجد عمر نفسه إلا وهو يترجل مبادراً:

ـ ضياف ربي السي الهاشمي.

ـ مرحباً، من الغريب؟

لم يجد عمر ما يقوله في تلك اللحظة فهل يبقى على نفس روايته التي رواها لموظف المكتبة أم يقابله بالحقيقة وإن قابله بها فما هي هذه الحقيقة من الأساس؟ وكيف سيشرح له هذه الأحجية؟

عزم عمر أخيراً على قول الحقيقة ومصارحة الشيخ بما يدور في ذهنه، كما أن السي الهاشمي من الأشخاص الذين إذا قابلته لن تجرؤ على الكذب عليه، وعمر قد رأى أنه يقف أمام شيخ حذق وإذا أخبره أنه يبحث عن كتاب فأول سؤال سيسأله الشيخ هو عنوان الكتاب.

رأى عمر أنه قد تأخر في الرد على الشيخ وتدارك الموقف قائلاً:

ـ أنا السيد عمر قدوري وقد قدمت من مدينة وهران إلى قريتك وأبحث عن أمر لا أستطيع شرحه لك يا سيدي في كلمة معينة، كما أنني كنت في مكتبة البلدية وجئتك من هناك عسى أن أجد عندك ما أبحث عنه.

_ حسنا إذا لك حاجة عندي، اعذرني فلا أتذكر أننا قد التقينا من قبل،
وبما أنك قادم من المكتبة فحتمًا تبحث عن كتاب معين وأن ذلك
الأخرق موظف المكتبة هو من ذلك على بيتي.

عرف عمر أنه بتوتره قد وشى بالموظف وأنه قد خرق وعده ولم يبق
له غير التوسل للذود عن ذلك الوعد:

_ إن موظف المكتبة إنسان طيب ولم يرد إلا المساعدة كما إنني قد هممت
بالرحيل لولا أنك خرجت على حين غرة، وإنني يا سيدي لو سببت لك
ولو القليل من الإزعاج فلا تؤاخذني وسأعود أدراجي إذا طلبت مني
ذلك.

تفرس السي الهاشمي لوهلة في عمر ثم سأله:

_ أستنج من كلامك أنك لا تبحث عن كتاب معين وقد قلت سالفا أن
ما تريده لا تستطيع شرحه في كلمة واحدة، كما أنه ليس لدي أي بنات
للزواج وقد أتعبت مخيلتي لذا كم يستوجب الأمر الذي تريده من
كلمات كي أتبين مرادك؟ ها أنا أستمع لك فأقدم.

كان عمر على غير عادته باهت المنظر خريص اللسان وأراد في هذه
اللحظة أن يعتذر من الشيخ وينصرف لكنه أحس أن هذا الشيخ
سيساعده، وشعر أن الأقدار هي التي قادت به إلى هنا، واستجمع قواه
مخاطبا هذا العناد الذي تصور في هيئة مخيفة:

_ ما أبحث عنه يا سيدي يتمثل في أمر غريب قد حدث لي مؤخراً وهو الذي قادني إلى قريرتكم وإن كان لك بعض الوقت سأسرد عليك قصتي بالتفصيل، وكما قلت لك إنه أمر غريب وقد آنست فيك شيئاً يا سيدي وهو الذي يجعلني أسرد عليك قصتي وأتمنى أن تصدقني فما سأقوله يصعب تصديقه كما أن تصديق الفكرة يكون على قدر قوة استحالتها وكلما بدت استحالتها أقوى كان التصديق لها أكبر.

هنا غير الشيخ من وضعية وقوفه واعتدل ثم قال متعجباً:

_ أراك من قراء الأدب الروسي!

علم السي الهاشمي أن مقولة عمر الأخيرة هي من اقتباس للكاتب الروسي فيودور دوستوفسكي وهذا ما كَوّن إعجاباً متبادلاً بينهما ووجد عمر أخيراً المفتاح لهذا الشيخ المتعجرف.

_ حسناً يا سيد عمر سوف أستمع إلى قصتك، لكن قبل هذا لي حاجة أود قضاءها في البلدة فهلاً تكرمت وأوصلتني إلى هناك بسيارتك؟
_ طبعاً وبكلّ الرحب والسرور.

وما إن وصلوا إلى البلدة حتى التقوا بموظف المكتبة الذي ارتعد وجدانه عندما صاح به الهاشمي:

_ هاي أيّها المكتبي أراك على غير سجيتك ما بك هل كل شيء على ما يرام؟

هنا طأطأ عمر رأسه وعلم أن هذا الشيخ لا تبيت عنده الكلمات وسيقوم بتأنيب الموظف لا محالة على إرشاد الغرباء لبيته وسيكون موقف عمر أمام الموظف محرجا.

_ أهل.. أهلا السي الهاشمي، ردّ المكتبي وهو ينظر إلى عمر نظرة المؤنب.

فخاطبه الهاشمي قائلا:

_ ما أحسن الصدف وما أجمل الأقدار التي لاقتني بهذا الرجل المحترم، أريدك أن تفتح له المكتبة متى أراد ذلك.

تنفّس المكتبي الصعداء وقال بكل زهو وطمأنينة:

_ بالفعل فقد التقيت به وقد كان عندي في المكتبة وأنا من أرشده إلى بيتك.

_ إذا أنت من أرشده إلى بيتي، تبا لك ولفعلتك، كيف ترشد شخصا غريبا إلى بيتي وأنت تعلم نفوري من الغرباء، إذا عدت إلى فعلتك هذه مرة أخرى سيكون حسابي معك عسيرا وسأتحدث معك لاحقا.

وغادر الشيخ مع عمر وهو يخفي ابتسامة المنتصر، فقد وقع المكتبي في شركه وأثّبه رغم ذلك، كما أنه أخرج عمر من الصورة تماما فلم يكن له أيّ دخل في تأنيبه وفعل الشيخ مبتغاه بطريقة مأكرة أعجب بها عمر وظلوا طوال الطريق إلى البيت يضحكون على ذلك المشهد وعلى بلاهة موظف المكتبة.

علي

لم يخرج علي من غرفته طوال تلك الأيام بعد أن رفضت روايته كالعادة وقد جال بها إلى كافة الناشرين لكنه عاد يجر أذيال الخيبة، ولم يكن يعلم ما الذي سيقوم به بعد ذلك وطبعاً لم يتأثر ولو قليلاً لخيبتة، فقد تجاوزها كالعادة بكتابتها كما أنها أصبحت شيئاً مألوفاً واعتيادياً في حياته، أما الشيء الذي أزعجه فعلاً هو توقف ذلك الكابوس اليومي الذي عاش معه لعدة سنوات والذي كان يساعده على الكتابة.

فمذ توقّف باتت الكتابة أمراً عصياً وجفّت (ميسون) ولم تعد تخاطبه كثيراً وعقمت أفكاره على إنجاب أي شيء يكتبه، لكنه كان ينام ملء جفنيه ويصحو كل مرة بطريقة عادية، لم تخنه أنفاسه ولم يتذمر والده السيد لزهاري منذ مدة كما أنه -أي السيد لزهاري- قد تأكّد بأن الراقي الشيخ الهواري هو من عالجته وقد قال ذلك لكامل الحيّ، وطار عقل الخباز منصور الذي صدّق كلامه حول بركات هذا الشيخ وسرّه البائع وظل هذا الشيخ هو موضوع الأحاديث في الحي لعدة أيام، أما علي فلم يكلم منذ عودته إنسياً. وكان إذا خرج توجه إلى خارج القرية عند صخرته يجلس عندها يتأمل ولا يعود إلا بعد توديعه لصديقه وهو يتأمل غروبها وراء قمة الجبل الذي كان يجلس قبالة.

وقد سمى تلك الصخرة بالصخرة الساقطة وذلك لأن تلك الصخرة العملاقة كانت تبدو وكأنها سقطت من السماء، تجلس وحيدة قبالة الجبل ليس لديها أي أنيس أو صخرة تجاورها سوى علي الذي يتردد عليها بين الفينة والأخرى يأنس وحدثها ويُسِرُّ لها بخواطره وكلماته التي لم يكن يفهمها سوى هذه الصخرة، وحكى لها عن روايته التي لم يفهمها الناشرون وعن سخرية بعضهم منها ومن الإهداء الذي كتبه في بداية الرواية لأمانة أسرارته كما حكى لها عن كابوسه الذي لم يزره منذ الانتهاء من الرواية، وبأنه بدأ يشناق له وأنه هو من كان يوقظه ليكتب وما إن غاب غابت معه الكتابة، وطبعاً فالصخرة الوحيدة التي لن تستغرب من وجود شخص يشناق لكابوسه كما أنها تعرف علي جيّدا وتفهمه ولهذا اتخذها أمانة أسرارته، والسؤال الذي أرّقه هو أين ذهب ذلك الشعور المؤلم؟ الشعور بالغرق، أين ذهب كلّ ذلك الخوف والفرع؟ والحقيقة تكمن في القوة الخفية وفي عصا موسى التي يمتلكها علي ككل إنسان، إنها التعود، فبعد أن اعتاد على كابوسه أصبح لا يخيف وأصبح شيئاً مفهوماً يعلمه جيداً.

وفي ذلك اليوم هتف علي وهو فوق صخرته يناجي كابوسه ويعود به من هذه الوحشة التي تملّكته ويستسمحه وقال وهو ينظر إلى السماء: -إنني أعلم أنك حقيقي وموجود لكن لماذا وقع خيارك عليّ ولماذا

أردتني أن أكتب كل تلك الكتب والرسومات وما الذي سأفعله بها؟ وهل
حقاً قصتك هذه حقيقية أم أنا من جننت وهكذا يبدو الجنون؟
وظل ينجي حتى غلبه النعاس واستسلم للنوم، نام حتى منتصف الليل
ولم يصح إلا بعد أن سقط من فوق الصخرة يصرخ وحيداً في ذلك
المكان المقفر، ولم يجد سوى الجبل وهو يطمئنّه ويصرخ لصراخه، زاره
كابوسه بالفعل وكأنما سمعه ولم يخيب رجاءه لكأنه كاد أن يقتله هذه
المرة، فالصخرة كبيرة وقد سقط من مكان عالٍ خلف على جسده آثاراً
بالغة، لم تكن كذلك الأثر الذي حدث على روحه ووجدانه فتاه بين
الخوف والفرع والأنس والاطمئنان، نعم قد أربعه كابوسه وفي نفس
الوقت أنس لعودته مما خلف هذا الشعور المتناقض والمجنون.
عاد إلى المنزل خائر القوى غير قادر على هذا الخلط الذي طرأ في
مشاعره وهذا ما لاحظته السيد لزهارى الذي وجده في انتظاره.
_ أين كنت؟ وما الذي فعل بك كل هذا؟ هل تشاجرت مع أحد؟
_ لقد سقطت يا أبى.
_ سقطت هل تهزأ بي؟ تبدو وكأنك سقطت من جبل!
_ وهو كذلك لقد سقطت من جبل.
_ ماذا؟ هل عدت لتدخين الحشيش؟ ما الذي حدث أخبرني بالحقيقة.

_ لقد سقطت من على الصخرة الساقطة يا أبي بعد أن أخذتني عيني
وغفوت قليلا.

_ ماذا؟ ها أنت تعود إلى جنونك القديم، أما توقفت عن الذهاب إلى
هناك؟

انتهى هذا الحوار الذي تأكد بعده جنون علي بل وقد زادت حالته وأصبح
جنونه رسميا وامتلات غرفته بالكتب والأوراق والرسومات الغريبة التي
كان طوال تلك المدة يعمل عليها وبات لا ينام في البيت إلى قليلا فقد
صار الكابوس لا يأتيه إلا عندما يبيت عند الصخرة، وباتت أفعاله غريبة
ووقحة ولم ينفعه لا الراقي الهواري ولا غيره، حتى أنه في آخر جلسة
علاجية ضرب الشيخ الهواري بقارورة المياه المقدسة بعد أن أفرغها على
رأسه، وفي أحد الأيام نشب شجار بينه وبين جاره العم منصور الخباز
وذلك عندما قدم علي ذات صباح من مكان مبيته ووجد العم منصور قد
قام بتنظيف الشارع، فغضب غضبا شديدا وصرخ في وجه العم منصور
وأسمعه كل ما قد يلتقطه شمع الأذن من أوساخ وكان هذا بحضور جميع
سكان الحي الذين قاموا بتهدة علي كما يهدأ العاقل المجنون، وهذا
الذي زاد من غضبه فقد شتم كل المتواجدين هناك، وعلموا جميعا أن
حالته تسوء وقد ذهب عقله بالكامل فلا تثريب عليه اليوم، وأي عاقل
هذا الذي يسب جاره لتنظيفه الحي أما علي فلم يغضب لتنظيف الحي

بل غضب لأن العم منصور قام بجزّ حشائش كانت تنمو تحت جدار منزله، وكان يعيش فيها صرصور الليل، قد لاحظته علي منذ مدة واتخذته صديقا وأسماه رمزي.

كان يسمعه من مسافات بعيدة عندما يكون قادما إلى منزله في الليل وكان الصرصور عذب الجناحين، لا يكلّ من الغناء طوال الليل، وعندما يمر بجانب الجدار أي شخص يتوقف الصرصور عن الغناء حتى يمر هذا المتطفل ليباشر الغناء من جديد، وكان علي كلما مرّ من هناك في الليل يتوقف الصرصور فيبادله علي التحية ويمرّ تاركا أذنه وراءه لسمع رمزي يباشر غناؤه من جديد فيبتسم ابتسامة المجانين ويمضي إلى جنون آخر، لكن رمزي لن يغني من جديد فالعم منصور قد هدم له بيته، وهذا ما أثار حفيظة علي وأزعجه.

بعد مرض فريال وجد عمر نفسه يتخبط في الوضع الجديد الذي آلت إليه أسرته وأحس بأنه سيفقد حبيبته للمرة الثانية أو ربما أحس للمرة الأولى بمعنى فقدان، فقدان الحبيب إلى الأبد، ومن غير الموت من يشرح هذا المعنى لعمر.

لم يخبر عمر فريال أنه متوجه إلى ولاية البيض ولم يجد حلاً لمأساته الأسرية سوى أن يتبع النداء، وبات التفكير في الحلول بالنسبة له أمر مرهق فهرب نحو الأحجية يريد حلها.

كانت ليلة رائعة وطويلة اجتمع فيها كل رواد الأدب عبر التاريخ وتبادلوا الآراء والأقوال اختلفوا في بعضها وسروا في كثير من الأحيان لتطابق أفكارهم وتراكمها، والكيفية التي سارت بها الأفكار وتراپطت وكونت أفكارا جديدة على مرّ تاريخهم، فقد بات عمر عند السي الهاشمي تلك الليلة وكان الأدب هو موضوع سهرتهم وتجولوا في البيت الذي لم تخل كل زواياه من الكتب، فكانت متواجدة على الرفوف وفي كل ركن وعلى الأرض وفوق الخزانة وربما حثى الثلجة كانت تحتوي على كتاب أو اثنين فهي المكان الوحيد الذي لم يتفحصه عمر.

تفرّس الشيخ الهاشمي طلع ضيفه ووجده إنسانا محترما ومثقفا وليس ممن يخلقون القصص ويتحدثون من أجل الحديث فقط، واستغرب لهذه

القصة الغريبة وفهم كل الأحداث التي وقعت بداية من الراصد إيثري حتى وصول عمر إليه كما علم بالكابوس المتطابق بين عمر وزوجته وقد استسلم لعمر وصدقّه وأحس أن من شأنه مساعدته.

قام الشيخ بتقسيم كلمات الأحجية على حسب معناها ووضع مجموعات تحتوي كل مجموعة على كلمات متقاربة في المعنى

فوضع في المجموعة الأولى (أمي، علي، لحسن، محجوبة، حسناء)

وفي المجموعة الثانية (البيّض، الشلالة، الوسط، الغرب، المكتبة)

وفي الثالثة (تائه، ابحت، رأس، الأفعى، الخنس، شجرة، الطلح)

وفي المجموعة الأخيرة وضع (الحذوة، الدعسة، الحصان، الصخرة)

_ أرى أننا نبحت عن مكان ما وهذه الأحجية عبارة عن خريطة تريد أن تقودنا إلى شيء معيّن يا عمر وفي الغالب أننا نبحت عن قبر إذا صح حدسي.

_ ماذا؟ وكيف عرفت ذلك يا سي الهاشمي؟

_ إن كلمة الحذوة والدعسة والحصان تدل على ذلك، فقد قرأت سابقا

أن الأتراك القدماء كان يتركون دلالة على قبور فرسانهم ونبلائهم بنقش

حذوة حصان على الصخور القريبة من تلك القبور وبما أن كلمة الصخرة

موجودة فربما هذا النقش موجود على صخرة ما، وقد تكون هذه

الصخرة موجودة هنا في مدينتنا فاسم المدينة ضمن الأحجية وكلمة

الغرب والوسط هي دلالة على تحديد المكان وذكرت في الأحجية كذلك الشجرة والطلح والذي من الواضح أنها شجرة الطلح المعروفة في صحرائنا، وربما كان القبر الذي نبحث عنه يوجد بجانب شجرة الطلح، أما تلك الأسماء فقد يكون واحد منهم هو صاحب القبر وكلمة الخنّس فربما تعني أن هذا القبر مستتر ومخبأً بشكل جيّد وربما يحتوي على أحد الكنوز وباقي الكلمات لم أجد لها أية دلالة حتى الآن.

كان عمر يدوّن في كل كلمة يقولها الشيخ يحاول التوصل إلى الرابط الذي قد يفك شيفرة هذه الخريطة كما أنه بمساعدة هذا الشيخ قد حقق تقدّماً جيّداً، وإن صدق السي الهاشمي في تخمينه ستكون بداية جيدة وربما قد يتوصل إلى طرف الخيط الذي يقوده إلى فهم الأحداث الغريبة التي طرأت على عائلته.

أمسك عمر بتلك الملاحظات وقال لصاحبه:

_لتعلم يا سي الهاشمي أنني عندما دخلت لقريتكم أول مرّة كنت في حالة من التشتت تستدعي البكاء، ولم أكن أعلم أين أذهب ومن أين أبدأ وأول قرار اتخذته كان الذهاب إلى المكتبة كونها ذكرت في الأحجية وكوني تعودت على الاستنجاد بها كلما ألحّت علي الأسئلة، غير أنني عندما دخلت إليها لم أستطع كبت دموعي فقد أحسست ولأوّل مرة أنها لن تفيدني وأنا في المكان الخطأ، وأردت العودة رأساً لولا أن الصدف

قادتني إليك ووالله إن في قلبي الآن طمأنينة ستجعلني أنام ملء عيني
هذه الليلة.

ابتسم الشيخ على غير عادته ورفع حاجبيه مستعداً لقول شيء، بدا
لعمر أنه يحزُّ في نفس الهاشمي وبأنه أمر جاد كجدية ملامح هذا
الشيخ:

_ هل تسمي تلك الحظيرة بالمكتبة؟ وهل حقاً تظن أن المكتبة هي
ذلك المكان الذي يعجُّ بالأوراق المتلاحمة بين دفّتين؟ إن المكتبة هي
المكان الذي تلتقي فيه أرواح الناس حيث يجلس الكاتب إلى من يقرأ
له وتتجاوز الأرواح من كلّ زمان ومكان، والمكتبة التي تخلو من تلك
الاجتماعات لا أسميها مكتبة؟ إن المكتبات يا عمر تمّ بناؤها في هذه
المناطق بقرار سياسي واقتصر هذا على كونها بناية للبلدية تحمل لافتة
مكتبة وكأنها كمالية مثلها مثل المسبح وملعب البلدية، وهذه المشاريع
تعتبر منجزة فور الانتهاء من بنائها وتشكّل تلك الكتلة الإسمنتية
وينتهي هنا كلّ شيء ويقتصر زوارها على تلاميذ المدرسة الذين أراد
أستاذهم تحبيب القراءة لديهم فزاروها لمرة أو اثنتين، وشخص آخر
شاهد فيلماً أو مسلسلاً يتناول مشاهد رومانسية عن القراءة فعزم
على زيارة المكتبة، وطبعاً زيارة أو اثنتين للأستاذ الذي طلب من كلّ
تلميذ قراءة كتاب ليتحصل على علامة جيدة، ثم هجرت سوى من

غريب للأطوار أو مُراءٍ يلعب دور مثقف القرية في قليل من الأحيان، فالمكتبات في مجتمعنا يقتصر دورها فقط على التلاميذ وطلاب الشهادات وما أن تُؤخذ الشهادة حتى يتم الطلاق معها بالثلاث في حين أن العمل الحقيقي للمكتبة ودورها الأساسي في تكوين الأفراد يكون بعد التخرج وأخذ الشهادة، والغاية من القراءة عندنا هي أخذ الشهادة والغاية من الشهادة هي العمل، والغاية من كل ذلك هي إرضاء المجتمع وهذه هي الطامة الكبرى فبعد أن ينال الإنسان رضا قطيعه، يشعر أنه قد أكمل مهمته وتوصل إلى مراده بغض النظر عن صحة هذا المجتمع وحينها يتوقف هذا عن القراءة والتدبر لأن المجتمع ربط القراءة بالعمل، وتتزوج الأخرى وهي لا تعلم أصلا الغاية من الزواج وتكوين الأسرة فقط لأن المجتمع حدد سنّ الزواج وأعاب على من فاتها هذا السن دون أن تتزوج فتلقي بنفسها في أحضان أيّ شخص يريد إرضاء قطيعه هو الآخر، ويتيه إنسان اليوم في محاولة العمل بما وجد عليه إنسان البارحة وتصبح إرادة القطيع تتحكم في إرادة الفرد دون أن يشعر، فنتج لنا مجتمعات مختلة مكوّنة من أب مثقف يحمل شهادة وأم لم تع كيف صارت أما من الأساس.

لنكتفي بهذا اليوم فقد تأخر الوقت كثيرا وغدا سننظر ما الذي قد نستطيع عمله في هذا الأمر، كما أنك مرهق من سفرك يا عمر فتم قليلا

وتذكر، أنت في بيتك هنا، وإني اتخذتك صديقا وليس من السهل على أي شخص أن يكون صديقي لذا تصبح على خير، سأنام قليلا فقد أرهقتني اليوم كثيرا أيها الصديق الجديد.

مرّت تلك الساعات بلمح البصر على الرفيقين حتى أدركهما أذان الفجر ونهض عمر ليصلي ووجد السي الهاشمي جالسا في الرّدهة يحاور أحد كتبه.

_ صباح الخير أرى أنك لم تنم؟

_ على العكس فقد نمت ما يكفيني كما أن شيخا مثلي تكفيه بعض السويغات فقط من النوم وكما تعلم فقد أفنيت الجزء الكبير من حياتي ولم يتبقّ لي الكثير لأغادر هذا العالم ولا أريد أن أضيع ما تبقى من عمري في النوم.

كان السي الهاشمي يعيش وحده بعد أن توفيت زوجته ولا يملك من الأهل سوى ابنته التي تعيش في مدينة البيض مع زوجها وأولادها ولم يتبق له سوى مكتبته العريقة التي تؤنسه في لياليه وأيامه.

جلس عمر إلى رفيقه الشيخ الذي سأله فور جلوسه:

_ قلت لي أنهم علموا بأن الترددات تبعد عن كوكبنا مسافة عشرين مليار سنة.

وإن صَحَّت ترجمة زوجتك لتلك الترددات فهذا يعني أن شخصا ما من الفضاء الخارجي يريد أن يوصلها لأمر ما، ولنفرض أن ما نبحث عنه، قبرا من القبور القديمة فما الذي يجعل كائنا ليس من كوكبنا يقودنا إلى هذا الأمر وما غايته أصلا من ذلك وهل هذا يعني أننا مراقبون من قبل كائنات أخرى؟

عمّ السكوت في المكان وأغلق السي الهاشمي كتابه وأردف يقول:
_ أريد أن أبلغك يا صديقي أنني لم أنم طوال الليل فقد تذكرت شيئا حدث في الماضي وأكاد أجزم أن له علاقة بقصّتك وسوف يصدّمك ذلك لأنني إلى الآن لم أتجاوز الصدمة.

لقد كان في بلدنا كاتب يقولون أنه كتب عددا لا يقدر من الروايات لكنّه أحرّقها جميعا بعد أن فقد عقله وكنت أعرفه شخصا قبل أن يجنّ، لكنّي لم أخالطه كثيرا فحينها كنت أعمل في مدينة قسنطينة، والصادم في الأمر أنه كان يكتب رواياته عند صخرة تسمى رأس الأفعى.

وكنت أعرف أن هذا الشخص ليس إنسانا عاديا فقد تكلمت معه عدة مرات في عدد من المواضيع وكانت أجوبته تجعلني حائرا في كلّ مرّة، وإنّي أخبرك لقد اقتربت كثيرا من الشيء الذي تبحث عنه وهناك شيء ما قادك إلى هنا وسنذهب في الحين إلى تلك الصخرة علّنا نجد هناك أي شيء.

_ وأين نجد هذا الكاتب؟

_ لقد توفي منذ مدة.

_ وهل تعرف أين توجد هذه الصخرة؟

_ نعم إنها معلم طبيعي قد بات يزورها الناس من كل مكان ويتوقف عندها المارة لالتقاط الصور وعندما تشاهدها ستعلم لماذا هي مشهورة هكذا.

توجه الرفيقان إلى الصخرة المنشودة وكانت عبارة عن أفعى عملاقة متحجرة يبرز رأسها من الأرض، سبحان من نحتها وسواها بهذا المنظر المهيّب، لم يجدوا هناك أي أثر لشجرة الطلح وواصلوا البحث عن أي دعة حصان توجد في المكان أو أي إشارة قد تتوافق مع أحجيتهم، لكن دون جدوى لم يعثروا على أي شيء وكان عمر كالمجنون حينها، يدور ويذهب ويتفحص المكان الواحد لعدة مرات، ولم يتوقف لحظة بينما جلس الهاشمي في أعلى الصخرة بعد أن أرهقه البحث وظل يشاهد عمر وهو يروح ويجيء وقد تمكن منه التوتر والتوهان ولم يكن عمر ليكلّ لولا أن ناداه رفيقه:

_ تعال يا عمر فثمة شيء ناقص لم نفهمه بعد دعنا نبحث عن أي شخص له صلة بالكاتب علّه يفيدنا بشيء ولا تقصص حكايتك على أحد ودعني أنا من أتكلم.

_ حسنا، لم تخبرني باسم هذا الكاتب المجنون؟

_ اسمه (علي).

تقدّم عمر وتهالك على الصخرة بجانب رفيقه وكأنما أصابته صاعقة دون أن يتفوه بأي كلمة ووضع رأسه بين كفيه.

_ هل علمت الآن يا عمر لماذا لم أنم طوال الليل إن اسم الكاتب مذكور في أحجيتك وقلت لك سألنا أنك تسير في طريق رسم لك من طرف شيء غامض، وأن حكايتك هذه تقود إلى أمر غامض قد يصيبني بالجنون وأنا في أواخر عمري كما أنك تجلس فوق رأس الأفعى الذي هو الآخر مذكور في أحجيتك، وإننا لقريبون جدًا من حلّها فصبراً جميلاً. توجه الاثنان إلى القرية وذهبا إلى الحيّ الذي كان يسكن فيه الكاتب علي وسألوا جيرانه هناك وكان الشّيخ الهاشمي هو من يتكلّم وعمر يمشي وراءه طوال المدة غارقاً في سكوته، يضرب أخماساً في أسداس تارة، وتارة أخرى يطرح تلك الأخماس ويجمعها مع الأسداس، لقد كان شبه غائب حتى إنه فوت على نفسه طريقة الهاشمي القوية والحدقة في التعامل مع الجيران، علّه يسمع أي معلومة يستطيع التوقف عندها وقادهم البحث حتى وصلوا إلى الخباز حسين.

الذي قام مسرعا لتحية السي الهاشمي الذي كان شخصا ذو مهابة يحترمه كل سكان القرية وتكلموا عن والده المرحوم (منصور). وحدثه الهاشمي عن طرفات وقعت بينه وبين والده في الماضي وضحكوا على تلك الطرفات وترحموا على روح المرحوم منصور،

ومن بين تلك الطرفات استحضروا فذلكة كان الكاتب المجنون هو بطلها وسأله السي الهاشمي حينها:

_ إلا صحيح لقد كانت للمجنون علي ابنة ألا تعلم أين تعيش وما هي أخبارها؟

فأجابه حسين أنها تسكن في مدينة النعامة مع زوجها وأن آخر مرة قدمت إلى هنا لبيع المنزل الذي كان يسكن فيه والدها، سأله السي الهاشمي عن الشخص الذي اشترى المنزل فأخبره باسمه وهو يعيد إليه الفكة بعد أن اشترى منه رغيف خبز.

لم يكد عمر ينهي طعام الغداء إلا وكان يتفحص سيارته استعدادا للمضي إلى مدينة النعامة فبعد أن سألوا الشخص الذي اشترى المنزل من (قدس) عرفوا اسم زوجها والحي الذي يسكنون فيه، وتوجهوا إلى هناك رأسا، ولم يطل بحثهم كثيرا فاسم العائلة كان معروفا وكان زوجها مدير الإذاعة للولاية، وعندما وصل عمر ورفيقه الشيخ لم يكن الزوج في البيت وبما أن المنطقة تعتبر محافظة لم يستطع عمر التكلم مع

الزوجة، وما إن عاد زوجها هجم عليه الرفيقان قبل أن ينزل من سيارته وتحدث إليه السي الهاشمي بطريقته المعتادة، واكتشفوا فور حديثهم بعض المعارف المشتركة بينهم فالسي الهاشمي كان خبيراً بعلم الأنساب لجل المنطقة.

وأخبره بكل الحكاية غير أن زوج السيدة قدس لم تبدُ عليه الدهشة فقد شاهد من والد زوجته العديد من الأمور الغريبة في السابق، كما بدا من الواضح له أن الشخصين محترمان، رغم غرابة قصتهما فاستأذنها لوهلة وعاد ساكن الملامح كما عهداه منذ أن التقياه، وقال أنه من الصعب التحدث مع زوجته الكهلة شديدة المراس في موضوع والدها فهو أمر يزعجها ويغضبها كثيراً، وأنها قالت أنها لا تعرف أي شيء عن تلك الكلمات وأنها لا تستطيع مساعدتهم بأي شيء وأن والدها -رحمه الله- لم يكن سوى مجنون قد ارتاح أخيراً، وذهب عند خالقه وأن كل ما يجب أن يفعلوه هو الترحم عليه والدعوة لروحه ولم يبد من ملامح الزوج أنه يخفي أي شيء، فهذا الرجل لا تقرأ أي شيء من ملامحه ولا تفهم ما يدور في خلدّه إذا لم يتحدث ويفصح عنه، غير أن الجماعة قد استنتجوا أن هنالك شيئاً ما عندما أراد أن يبادلها أرقام الهواتف وأخبرها أنه يؤدّ المساعدة وإذا عرف أي شيء سيخبرهم به.

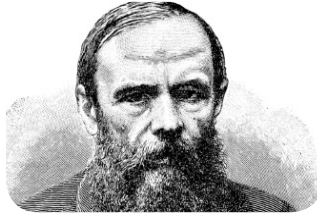
القسم الثاني



الخُنَّسُ

"تصديقي الفكرة كان على قدر قوة استحالتها، فكلّما بدت لي استحالتها
أقوى، كان تصديقي لها أكبر."

- فيودور دوستويفسكي



لحسن

انتقل لحسن مع زوجته حسناء إلى الإمارات العربية المتحدة قبل أربع سنوات، بعد أن تم اختياره ضمن المجموعة الستة التي ستصعد إلى المريخ لم يرد البقاء بعيدا عن عائلته كما أن السفر في كل مرة إلى الجزائر كان سيرهقه ويؤثر على المهمة العظيمة التي هو بصدها، لذا فقدوم حسناء أعطاه نوعا من الاستقرار الاجتماعي.

بعد نجاح الشراكة الدولية بين الهند والإمارات والجزائر في مجال اكتشاف الفضاء وإرسال عدد معتبر من الأرصادة إلى هناك، وتحقيق العديد من الانتصارات في هذا المجال على مدار عقود من الشراكة المثمرة حان الوقت لمثل هذه المهمة والصعود إلى الكوكب الأحمر أخيرا، وقبل الانطلاق بثلاثة أشهر أراد استغلال العطلة القصيرة التي أخذها لإرجاع زوجه حسناء إلى الجزائر وزيارة والده هناك وتوديعه ثم العودة لإكمال المهمة.

خرج مع حسناء لتناول العشاء والاحتفال بآخر ليلة لهم في دبي، وكان عشاء يشوبه الصمت خاليا من أي بهارات تحلي الجلسة، ودام ذلك الصمت حتى بعد عودتهم إلى المنزل، كانت حسناء تدور هنا وهناك تتفقد أغراضها وأمتعتها ولحسن كان قد لاحظ عتابها في تعاملها الخشن مع حقائبها وخطواتها المتسارعة، وانتقالاتها العشوائية في أركان المنزل

وهو جالس يمسك بكتاب لم يكن يقرأه حينها، بل كان مركزا في قراءة كلمات حسناء التي لم تنطق بها والتي علّمت أنه قد قرأها وأنه علم أنها تريد منه العدول عن فكرته والتخلص من كل هذا، غير أنها لم تقل شيئا ولم ترد التأثير على نفسيّته، كانت تؤدي دور المرأة العظيمة التي تقف خلف زوجها، لم ترد إحباطه أو تثبيط عزمته حتى إنها لم تتذمر طوال كل المدة التي قضوها في الإمارات والتي كانت مدة التحضيرات، حيث كان لحسن مشغولا عنها وكلف بعمله كلفا شديدا، كانت تعلم أنها لن تلتقي بزوجها إلا بعد ثلاث سنوات وربما لن يلتقيا أبدا، وفور انتهائها من ترتيب أغراضها وإقفال آخر سحّابة لحقيبتها، بدأ أنينها الذي ارتفع فور دنو لحسن منها واحتضانها.

_ إذا سنغادر غدا، قالتها بصوت مرتعش سببت نبضاته وهي تمرّد من أذني لحسن نفس الارتعاش على فؤاده.

_ نعم سنغادر وأريدك أن تكوني قوية كما عهدتك.

_ وكم ستبقى في الجزائر؟

_ لن أمكث طويلا سأوصلك وأسلم على والدي وأعود مباشرة.

_ وماذا ستفعل وحدك خلال الشهرين المتبقين؟

_ سأقضيها في العمل وسأصل بك كل ليلة لا تقلقي.

سألته عن الشهرين القادمين وهما المدة المتبقية لزوجها على سطح الأرض ولم تسأله عن الثلاث سنوات التي سيقضيها بعيدا عن الكوكب وكأنها لم ترد تصويره في مخيلتها خارج الأرض ولعلها لم تتصور ذلك فعلا، لقد كان وداعا قاسيا عليها أما لحسن فلم يشعر أنه سيغيب لمدة ثلاث سنوات ولم تكن وقتها مساحة في عقله ليحس بالوداع والشوق المبكر، وكل ما فعله هو الهمس في أذنها "سأرجع إليك أعدك"، في تلك اللحظة انفتحت النافذة على مصرعيها، وارتفعت الستائر مطيعة لتلك الرياح التي دخلت من النافذة وقامت بتكسير مجسم لسفينة فضائية من الفخار كانت موضوعة على الطاولة قرب تلك النافذة، ولم تكدها حسناء تستوعب المشهد حتى صرخت قائلة:

_ إنه نذير شؤم لا تذهب أرجوك لا تذهب.

كانت الرحلة قد شارفت على الانطلاق وكانت كل الآمال مرتبطة بالسفينة (سربهاي) فإن وقع أي عطب ما أو دراسة ليست في محلها أو خطأ في الحسابات ستكون آخر رحلة للطاقم وخروج دون عودة من الكوكب الأزرق.

في تلك الأثناء قامت كل الدول المشتركة في العملية عن طريق وكالاتها الفضائية بأعمال جبارة، فالرحلة مصيرية وستستغرق أكثر من ألف يوم أي أن الرواد سيغيبون عن الكوكب مدة ثلاث سنوات تقريبا، وكل هذا

استوجب طاقما ضخما من مختصين ومهندسين وأطباء وعلماء من شتى الجنسيات، أما الرواد الستة المعول عليهم لقيادة هذا الصّرح الطائر فكان لديهم تأهيل نفسي وحركي مستمر، وأرسلوا قبلهم مركبات المؤونة والعتاد اللازم إلى المريخ وأرسلوا مركبة الهبوط على سطح المريخ والتي ستنتظرهم هناك في المدار الخارجي للكوكب، ليتركوا السفينة (سربهاى) في المدار وينزلوا إلى الكوكب بتلك المركبة والتي سيصعدون بها من جديد إلى السفينة لرحلة العودة.

إنه تحدّ للفيزياء، لكن إن قمت بالأمر بشكل خاطئ أو خارج المسار الكوني فلن تعود، فالمريخ يدور ويتحرك والأرض كذلك وأقرب مسافة يصلان لها عند دورانها هي ستة وخمسون مليون كيلومتر، وإذا فاتتهم فرصة الانطلاق عند اقترابهم لهذه المسافة سينتظرون ستة وعشرين شهرا آخر ليكملا دورانها ويقتربا من جديد مرة أخرى، وهنا تكمن الخطورة، هنا يكمن التحدي البشري، فالرواد سيسافرون من مكان متحرك إلى مكان آخر متحرك ولو حدث أي شيء خاطئ في منتصف الطريق وتوقفت السفينة سينتقل المريخ من مكانه ليكمل دورته ولن ينتظرك، وإذا أردت العودة ستجد المكان الذي انطلقت منه قد غادر هو الآخر، فالأرض هي الأخرى ستكمل دورتها ولن تنتظرك والوقت المحدد لعبور هذه المسافة الهائلة كان ثمانية أشهر وأي خطأ سيكون بمثابة النهاية للجميع.

جاء اليوم الموعود وركب الرواد مركبة الإطلاق وكانوا قد قاموا بإطلاق ست مركبات تحتوي على العتاد والمؤونة قبلهم، مرت تلك اللحظات ببطء شديد على لحسن وأصدقائه وكانت أبطأ بكثير من أن تسمى باللحظات، أُغلقت المركبة بعد الندوة الصحفية الأخيرة التي استغرقت ثمانية دقائق على باب المركبة حيث قاموا بتوديع جميع الطاقم. رفع لحسن يديه للسماء بعد أن قام بربط أحزمة الأمان "الله أكبر الله أكبر، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا لربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد" آمين الكلمة التي ختم بها جميع أفراد الطاقم على لسان واحد وكل كان يتضرع حسب معتقده ثم أعادوا صور عائلاتهم إلى جيوبهم.

ابتدأ العد التنازلي من العدد عشرة على مرأى الملايين والذي أنهاه صوت نظام الدفع الهائل لمحركات الدفع النووي شيئاً فشيئاً حتى بدأت السفينة بالخروج من تأثير الجاذبية الأرضية، في تلك اللحظات تسمرت وجوه الرواد ولم ينظروا حتى لوجوه بعضهم، اختفى لحظتها كل ما يربطهم بالأرض وابتعد تفكيرهم عن الأهل وكل ما خلفوه وراءهم، بل

ربما في تلك اللحظة كانوا في مرحلة الالّا تفكير مرحلة الهروب نحو المجهول بسرعة أحد عشر كيلومترا في الثانية.

خرجوا إلى مدار الأرض وتوجّهوا بالمركبة إلى السفينة التي تمّ إطلاقها قبلهم والتي ستقودهم إلى مدار المريخ وانتقلوا من المركبة إلى السفينة بعد أن قاموا بعملية الالتحام ثمّ فصلوا المركبة وتركوها في مدار الكرة الأرضية لينزلوا بها فور رجوعهم من رحلتهم بعد ثلاث سنوات وانطلقوا صوب الكوكب الأحمر.

عادت أحلام لحسن خلال ذلك السّكون الذي طرأ، كان يسير في طريق حلمه نحو صديقه الذي طالما رسمه في صغره، يسير إلى الكوكب الأحمر ملتفتا إلى العالم الذي خلّفوه وراءهم والذي عرف فور رؤيته أن الإنسان مخلوق ضعيف وأنّ عالمه الضخم لم يكن بتلك الضخامة بل يكاد لا يكون أصلا أمام هذه الشّساعة، وسربهاى العملاقة كانت أصغر من أصغر حبة رمل في الصحراء، هذا المشهد الذي من شأنه أن يمحو تلك الكلمات والدلالات عن عظمة وجبروت وسطوة الإنسان التي لا يوجد لها مكان هنا، لقد عاش الضعف لأول مرة كما لم يعيشه من قبل، إن كل تلك التصورات الرنانة عن القوة الإنسانية باتت محدودة في نطاق ضيق وصغير جدّا والترديد المتكرر والإنشائي لها أدى إلى التفكير وفق ذلك النطاق الضيق، ومنظر مثل هذا كفيل بإعطاء صعقة

كهربائية لإنعاش العقل وتوسيع نطاق التفكير خارج ما لدى هذا الكائن من كلمات ومفردات.

بعد مسير ستة أشهر في الفضاء بدا الكوكب الأحمر وهو يتقدم صوب السفينة وبدأ المشهد يكبر شيئاً فشيئاً مقترباً من أبعاده الحقيقية. كان الرواد يمارسون حياتهم داخل سربهاى بشكل اعتيادي متنقلين بين المكتبة وصالة الرياضة وقمرة القيادة فقد احتوت السفينة كلّ المرافق الضرورية، وصممت بشكل متكامل ومريح لستة أفراد حتى أنها احتوت على حديقة نباتية متكاملة ومصممة من قبل مهندسين بشكل رائع ومتقن، وكانوا على اتصال بعائلاتهم بشكل يومي ويتبادلون المعلومات والأبحاث مع الطاقم الضخم على الأرض الذي كان يتابع المهمة لحظة بلحظة ويتابع الحالة الصحية لكل فرد عن طريق ماسح ضوئي موجود على السفينة.

فور وصولهم إلى مدار المريخ وجدوا مركبة الهبوط قد تضرّرت بفعل العلاقة التاريخية بين الرياح والسفن واستنتجوا أنها قد تعرضت لزوبعة فضائية وارتطمت بالعديد من الصخور مما صعب عليهم عملية الالتحام معها وإن لم يصلحوها لن يتمكنوا من الهبوط على سطح المريخ وهذه من الأمور الجانبية التي مهما كانت دراستك دقيقة لن تتمكن من التنبؤ بها، فالمركبة وجدوها في مكانها بعد إرسالها آلياً وبدقة عالية

لكنها غير صالحة للهبوط وكانت هي الوسيلة الوحيدة للهبوط، وبعد دراسة الحالة خرج لحسن وزميله سمير رائد الفضاء المصري ببزاتهم المخصصة لإصلاحها وتبديل الأجهزة المتضررة مثبتتين بحبلين كانوا يطلقون عليهم الأحبال السرية فسربهاى كانت أمهم وعالمهم الوحيد في هذا المكان والابتعاد عنها يعني الابتعاد عن الحياة، وكان سمير على الجهة الأخرى من المركبة عندما سمعه لحسن يستنجد على جهاز الرّاديو المثبت في رأس البزة وعمّ غبار كثيف حجب عنه كلّ شيء فقد كانت عاصفة أخرى تنتظر وصولهم والتي استقبلتهم بغضب شديد أدى إلى انقطاع حبالهم السريّة.

ركب عمر سيارته عائداً من القرية بيد أنه لم يشعر بنفسه إلا وهو يسلك اتجاه مدينة وهران تتوق خواطره للقاء فريال فقد كان يزورها بين الفينة والأخرى ويشرف على علاجها وهو من كان يأخذها لجلسات علاج الكيماوي، وكان من المقرّر أن يعود من القرية إلى العاصمة ليكمل انشغالاته ويرتب أولوياته ثم يذهب إلى وهران بعد يومين أو ثلاثة أيام إلا أن جوارحه قد تآمرت مع سيارته والتي اتخذت مسار مدينة وهران دون مشاورته ولم يجد نفسه إلا وهو يطرق باب فريال بطريقته المميزة.

كانت الجدة (ميرا) تؤنب عمر على إهماله لابنه وكيف أن ابنتها المريضة في أمس الحاجة له الآن، أما فريال فقد علمت أن عمر ليس على سجيته وقد كُتت لحيته واتسخت ملابسه باديا عليه التعب مرخى العينين وكأّنه لم ينم منذ مدة وقد سألته عن الذي يشغل أفكاره أما هو فلم يكن يريد إخفاء أي شيء عنها بل أراد أن يتأكد من الموضوع ويصل إلى حل الأحجية قبل أن يبلغها، ولم يرد لها الدخول إلى الدوامة من جديد بعد أن خرجت منها وتجاوزتها خاصة وأنها بدأت العلاج وتحسنت نفسيته وأخذت إجازة طويلة من عملها، غير أنها تصرفت وفقاً لفضولها وتركيبتها الأنثوية واستغلت أقرب فرصة لدخول مكتبه والذي لا زال

يحتوي على أغراضه ولم يدخله أحد منذ رحيله إلى العاصمة والشيء الذي حرّك فضولها هو أن عمر فور انتهاء الجدة من تأنيبه دخل مباشرة إلى المكتب حاملا حقيبتة وجلس عنده لأكثر من ساعة ثم أخذ ابنه وخرج على أن يعود لتناول العشاء معهم.

بقيت في المكتب إلى أن قدم عمر والذي رأى في ملامحها الجميلة كمية الاستفهام والغضب وعلم أنه لا مفرّ له سوى من مصارحتها بكل ما جرى في رحلته، فأخبرها بكل شيء وأنه لم يصارحها بالأمر كي لا تشغل بالها وأضاف إلى حجته مرضها، لكنها تجاوزت كذبتة البيضاء فهذه المستجدات أنستها كل شيء وخلطت أوراقها وزادتها حيرة، خاصة وقد أخبرها عمر عن تشابه أحلامهما وأن الحلم هو ما قاده إلى البحث عن الحقيقة، وحكى لها عن الشيخ الهاشمي وطرائفه، وعن مكتبته الضخمة وزاد إيمان فريال بصحة الترددات ولم يغمض لها جفن إلا وهي مع عمر وابنها في السيارة متوجهين إلى مدينة النعامة لمقابلة السيدة قدس، ومروا في الطريق بصخرة رأس الأفعى العملاقة والتقطوا صورا مع ابنهم هناك، ومروا على منزل السي الهاشمي الذي فرح كثيرا بعودة صديقه وعائلته وأكملوا طريقهم حتى وصلوا إلى منزل السيدة قدس.

_ لقد أخبرت زوجك أنني لا أعرف أي شيء عن تلك الكلمات، كما أخبرته أن والدي لم يكن إلا مجنوناً قد رحل منذ عشرة سنوات، وليكن في علمك أنني لم أر أبي إلا عندما كبرت وتزوجت ولم ألتقي به إلا في أيامه الأخيرة لذا اعذريني أيتها السيدة المحترمة فليس عندي ما تبحثين عنه.

_ حسناً سيدة قدس ولكن دعيني أخبرك بشيء قبل أن أذهب، أنا لا أعرف والدك -رحمه الله- ولكنني متأكدة أنه لم يكن مجنوناً، وأن شيئاً غريباً قد حدث له يصعب على العقل البشري تصديقه، وأن هذه الكلمات قد جاءت من مكان سحيق في الكون وكان اسم مدينتكم واسم والدك والصخرة التي كان يجلس إليها موجودة ضمن تلك الكلمات، لذا فإن كان والدك حقاً مجنوناً فأنا أقر لك أنني أيضاً مجنونة فلا يوجد عاقل قد يصدق هذه الحكاية وأراك صدقتها نعم! أرى هذا في عينك يا سيدة قدس، لذا إن كان هناك شيء تخبئنه فإني أجزم أن روح والدك ستغضب عليك، فبالله عليك سيدة قدس أن تخبريني بالشيء الذي تخبئنه ودموعك هذه قد غلبتك وفضحت سريرتك الطيبة.

_ حسناً حسناً، أنا لم أكذب عليك عندما قلت لك أنني لم أقابل أبي إلا في أواخر حياته ولكنه أخبرني أنه يخاطب شيئاً ما عند الصخرة، وطبعاً كان هذا دلالة على جنون أبي حين ذاك وإني لم يغمض لي جفن منذ

زيارة زوجك المرة السابقة فقد أرعبني الكلام الذي قاله، أما عن الكلمات فهناك رواية قد كتبها أبي قبل أربعين سنة كان اسمها موجودا ضمن تلك الكلمات وهي (الخُسس) لكنه قام بحرقها قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى هي وجميع ما كتب، ولهذا قلت لك إني لن أفيدك بأي شيء فما تبحثون عنه قد التهمته النيران، ومات مع صاحبه.

_ ألم تقرئي الرواية يا سيدة قدس؟

_ لا، لم أقرأها وكل ما أعرفه عنها أنها لم تكن بتلك الجودة فلم يقبل أي ناشر طباعتها.

وهذا كل ما أعرفه يا سيدتي، غير أنه ترك رسالة غريبة لا أدري إذا كانت ستفعلكم سألحضرها لك لتريها.

أمسكت فريال الرسالة البالية وفتحتها:

"أنا ميسون التي صحت كل ليلة على صيحات المجنون،

أنا من أتكلم لكنكم لا تسمعون، عشت لأريكم ما لا تعلمون،

ذهبت حيث لا تذهبون وخاطبته بما لا تفقهون، وأخبرني وهو مهموم

أنكم جميعا عميان لا تنظرون، وقال يبكي بدموع ليست كدموع من

يكون: إن النظر ليس بالعيون.

أنا ميسون، من أكتب ولكنكم لا تقرؤون"

أكملت فريال قراءة الرسالة وانتهت إلى آخر الورقة حيث كتبت سلسلة من الأرقام بحبر أسود، غير الذي كتبت به الرسالة وسألت السيدة عن معنى تلك الأرقام لكن السيدة قدس لم تكن تعلم عنها أي شيء.

همت فريال بالمغادرة بعد أن تغلبت على إلحاح السيدة قدس في دعوتهم لتناول العشاء والمبيت عندهم الليلة.

حكى فريال لعمر عن الرواية في طريق عودتهم وأرته صورة الرسالة الغريبة التي قامت بالتقاطها قبل أن ترجعها إلى ابنة المجنون، اتصل عمر بالهاشمي وأبلغه عن الرواية وعن كل ما قالته السيدة قدس وأرسل له الرسالة عسى أن يفهم منها أي شيء.

لم تمر الكثير من الأيام عندما هاتف الهاشمي عمر وأبلغه أنه قد علم بوجود تلة اسمها (تلة محجوبة) لا تبعد عن الصخرة كثيرا، وأنها ربما تكون هي ما ذكر في الأحجية، فقد ظنوا في بداية الأمر أن محجوبة اسم شخص مثل علي ولحسن، وربما يجدون عند التلة إشارة ما وأخبره أنه لم يفهم الرسالة ولم يجد أي رابط قد يربطها بالأحجية.

رجع عمر من عند التلة يجر أذيال الخيبة مرهق العقل لا يجد أي مخرج أو حل لهذه الأحجية وكان سيستسلم في الكثير من الأحيان لولا أنه وجد اسم ابنه بين تلك الكلمات، وهو الأمر الذي كان يقوده في كل مرة ويغذي عزمته.

ومرت الكثير من الأيام والليالي دون أن يجدوا أي حل لتلك الأحجية ولم يتحدثوا مجددا في موضوع الأحجية لكنها كانت كالغصة في حلقهم لم يخلوا تفكير أي منهما حولها، وفي أحد الأيام كانت فريال تجلس إلى مكتب عمر الذي كان يقيم عند صديقه عندما يكون في مدينة وهران وأمستك حاسوبها المحمول مفتوحا على صفحة (خرائط قوقل) وكانت قد حددت منطقة الصخرة وتلة محجوبة وقرية الكاتب علي في خريطة قوقل وفي صفحة أخرى صورة الرسالة الغريبة، وبدأت تقلب شاشتها بين الصورتين وكأن شيئا ما في داخلها يخبرها بأن حلّ الأحجية متواجد بين هاتين الصفحتين، وبينما هي تعيد قراءة الرسالة رأت ما لم تتمكن من رؤيته قبل ذلك.

_أيعقل أن تكون هذه الأرقام على الرسالة هي إحداثيات لخطوط الطول والعرض لمكان ما؟ نعم فلماذا قسمت الأرقام إلى قسمين إذا؟
لم تكدهذه الفكرة تتضح في عقلها إلا وهي تعود إلى صفحة الخريطة وكتبت في محرك البحث:

خط العرض: (33.054721) خط الطول: (0.101110)

مباشرة بعد ضغطها على زر البحث رفعت كلتا يديها إلى فمها وقد اتسعت عيناها.

_وجدتها! وجدتتها! إنها الدعسة إنها دعسة الفرس.

أمسكت الهاتف تريد زف هذا الخبر إلى عمر.

_ لقد وجدتھا يا عمر وجدتھا، إن تلك الأرقام في الرسالة هي الدرجات العشرية والدقائق والثواني لخطوط الطول والعرض، إنها إحداثيات يا عمر تعال إلى المنزل بسرعة تعال!

لم يمر الكثير من الوقت إلا وكان عمر عندها ورغم أنه فهم كل كلمة قالتها على الهاتف إلا أنه سألها:

_ ماذا هناك؟

_ انظر أليست هذه هي دعة الفرس.

ظن عمر أن الدعة ستكون منحوتة على صخرة ما وأنها ستكون بحجم حافر الحصان الحقيقي أو قريبة منه، لكن الدعة التي يراها أمامه الآن أكبر بكثير مما تصور إنها دعة مكونة من سلسلة جبال لا تستطيع أن تفهمها إلا إذا رأيته من مكان شاهق أو من فوق طائرة في السماء، حيث اجتمعت تلك الجبال وكوّنت باجتماعها شكلا يشبه حذوة حصان وكأنما قد مرّ حصان ضخم وترك أثرا لحافره هناك ولولا صورة القمر الصناعي لتلك التضاريس لما استطاعوا أن يكتشفوا هذا التشابه، كانت تلك الإحداثيات تبعد عن مكان رأس الأفعى مسافة ساعة مشيا على الأقدام.

مرت المدة من وهران إلى مدينة الشلالة بلمح البصر، وتوجه عمر والشيخ الهاشمي إلى مكان الحذوة حيث حدد إحداثياتها على خريطة هاتفه، توقفوا تماما وسط الجبال أين كانت تلك الهضاب تحيط بهم من كل جانب، كانت منطقة شاسعة تقع غرب صخرة رأس الأفعى وتبعد بمسافة معتبرة عن هضبة محجوبة التي التصقت مع الكثير من الهضاب مشكلة هذه الدعسة العملاقة وهذه التضاريس القاسية والمخيفة حيث يظن المرء للوهلة الأولى أنه على سطح المريخ.

لم يعلم الرفيقيين من أين يبدأون البحث فالمكان شاسع لا يحتوي على أي مشهد من مشاهد الحياة سوى جحور الضباب والجرايبع دون وجود لأي إشارة أو شاهد على قبر ما.

وبينما هم يقلبون بين تلك الصخور لاحت لهم صخرة لم تبد كالبقية وما إن اقتربوا منها وجدوا أنها جزء من جذع شجرة مقطوعة لم يتبق منها سوى جزئها السفلي الذي كان متشبثا بالأرض وكأنما ينتظر أحدا لينقذه، وعرف الهاشمي فور رؤيتها أن هذا الجذع هو لشجرة الطلح المذكورة في أحجيتهم وأن الزمان فعل بها ما يفعله مع كل شيء حي، حيث حولها من كائن يسبح -بحمد الله- إلى وقود وحطب للنار وهو من أجود أنواع الحطب ولا يصدر دخانا إذا قمت بإشعاله، كما أن البدو في الصحراء يسمونها الصيدلية لكثرة الأدوية التي تستخرج منها.

أخرج عمر فأسا من السيارة التي استعاروها من زوج السيدة قدس بعد أن ترك سيارته في مدينة النعامة فما كانت لتتحمل مثل هذه التضاريس القاسية، وما كانت لتوصلهم إلى هذه الحمادة وظل يحفر على غير هدى تحت الشجرة الميتة إلى أن جف جسده من الماء وانكمشت عضلات ساعديه دون أن يجد أي شيء وتهالك فوق كومة التراب التي استخرجها يستجمع أنفاسه ويمهد نفسه لخيبة أخرى غارقا في التفكير، فكلما وجدوا بارقة أمل وتتبعوا بريقها اصطدموا بحاجز آخر يثبط عزيمتهم.

إلى أين تأخذنا أيها الكاتب علي؟ ولماذا اخترت عائلتي؟
لقد تعبت كثيرا ولولا اسم ابني الذي وجد في تلك الأحجية اللعينة لحرقتها ونثرت رمادها فوق رأس الأفعى الملعونة هي الأخرى، إن ما يحدث لي لشيء غريب وأخاف أن أجن في آخر المطاف كما جن الكاتب، لماذا يحدث كل ذلك لماذا؟

لم يقاطع الهاشمي تفكير عمر وظل يجوب بعينه هنا وهناك ويتفحص حول بقايا شجرة الطلح وعمر ساكن لا يتحرك يقلب أفكاره ذات اليمين وذات الشمال وقد أمد بصره على كومة صخور أمامه مشكلة دائرة وكأنما بنيت بنيانا وينظر إليها دون أن يأبه بها، وكأنها ليست ما يبحث عنه وبعد أن تدارك نفسه ورجع الرابط الحسي الذي بين عينيه وعقله

للعمل أدرك أنه ينظر إلى تسوير لضريح أو قبر ما، فنهض بفأسه ووقف عنده مباشرة وهم يحفر ولما شاهد السي الهاشمي هذا المشهد رجع بخطواته إلى حيث كان يجلس عمر وجلس دون أن يتفوّه بأي كلمة يراقب في خشوع تام.

كان عمر يهوي بالفأس وكأنه يقتل أحدهم وما هي إلا ثلاث ضربات حتى سمع صوت التقاء الفأس بشيء غير التراب والذي أحسّه في ساعده وهمّ يزيح ما تبقى من تراب بيديه، ها هو يمسح على الصندوق الخشبي وقد عادت جميع الأحداث إلى عقله وشاهدها جميعاً لحظة رؤية الصندوق شاهد الراصد إثري ومشاكله مع زوجته وقدمه إلى الشلالة والتقاءه بالشيخ الهاشمي واكتشاف رأس الأفعى، كل هذا مرّ على ذهنه وهو يقوم بإخراج هذا الكنز.

وضع الصندوق الذي نُقش على غطاءه اسم (الخنس) بجانب الحفرة ولم يجرؤ على فتحه بل نظر إلى الهاشمي الذي قام من مكانه بخطى متثاقلة وجلس على ركبتيه بجانب عمر وفتح الصندوق وأخرجها من داخله وقد برزت عيناه من تحت حواجبه وقال مندهشاً:

ـ لقد علمت يا عمر مذ رأيتك أول مرة أنك لن تتركني أغادر هذه الحياة بسلام وصدقتك في كلّ كلمة قلتها، وها هي أحجيتك أما مكن الآن.

أما عمر فكان كمن أصابه الصرع مشلول الذهن بعد رؤيتها.

إنها (الخُتْس) يا عمر رواية الكاتب المجنون التي نادتكُم من الفضاء السحيق مستنجدة، إنها هي وربُّ الأكوان لقد حللنا الأحجية! كانت محنّطة بعناية أوراقها بالية ولم تكن بجودة الكتب القديمة بل خيطة أوراقها على غير دقة تدل على أن من خاطها لم يكن ذلك الشخص المتمرس ومكتوب على غلافها المهترئ (الخُتْس). أمسكها الهاشمي وقلبها بين يديه واشتم رائحتها ثم فتح الصفحة الأولى وقرأ...

إهداء: إلى الصخرة الصّماء التي ستصحو ذات يوم لتلتهم من لا يجيد فكّ الحروف.

ابتسم السي الهاشمي وقال: فعلا إهداء يليق بمجنون مثلك يا علي (رحمك الله).

انطلق الرفيقان يعودان إلى القرية وظل السي الهاشمي الذي كان متمرسا في القراءة السريعة يتفحصها ويقلب صفحاتها وقال:

_ لا أرى فيها أي استثناء، كما أن التعبيرات فيها ركيكة جدًا وأظنها تتحدث عن يوميات رائد فضاء صعد إلى المريخ، وذُكر في آخر الرواية أنها كتبت سنة 2051 أي في المستقبل وليس قبل أربعين سنة كما قالت ابنة الكاتب وأظن أن من كتبها ليس الكاتب المجنون فهناك اسم آخر في نهاية الرواية والعديد من أوراقها ممزقة وغير موجودة.

بعد أن أرجعوا السيارة إلى زوج السيدة قدس والذي ترجاهم أن يحضروا إليه الرواية فور قراءتها استلقى عمر في الردهة بجانب مضيفه العجوز وكان الأمر كله لا يعنيه فلم يمسه الرواية أو يتفحصها واكتفى بالسكوت، أما صديقه الشيخ فتناول عشاءه دون أن يتحدث معه أو يحثه على الأكل كما لم يبلغه باسم الراوي الذي وجده مكتوبا آخر الرواية لكي لا يضاعف صدمته، كان يعلم أنه تحت الصدمة وأن أعصابه في حالة انهيار وأنه لن يهدأ له بال إلا بعد قراءة هذه الرواية لكنه غير قادر على ذلك، فتطوع السي الهاشمي وأمسك الرواية وقلب الصفحة التي كانت بعد الإهداء الغريب وقرأ بصوته الداكن:

أنا المنسي لا حول لي ولا قوة، أنا من ارتقيت وهويت، من خرجت وكلهم عادوا وأنا بقيت.

وجدت نفسي معلقا في الفضاء أسبح لا أملك غير الدعاء، وحيدا أحاول الالتفات بحثا عن كوكبنا الأزرق علني أراه لآخر مرة في حياتي، لم يكن يفصلني عن الموت سوى القليل من أنفاس الهواء الموجود في بزة الخروج وكنت على أتم الاستعداد للموت، غير أنني أردت رؤية الأرض بشدة أردت تمييزها بين العدد الهائل من النجوم والغبار الكثيف دون جدوى، وبدأ الهواء الموجود في رئتي البزة بالنفاد وجهاز الراديو توقف عن العمل والذي أوحى لي أن السفينة قد دمرت بالكامل نتيجة

اصطدام الصخور بها فلم تكن الرؤية واضحة وتسارعت أنفاسي ودقات قلبي وبدأ شيء ما يجذبني إليه وكنت أتهاوى بقوة صوب هذا الشيء وسرعتي تزداد ولم أتمكن من إدراك كل ذلك فدماغي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ليستطيع معالجة الأمر وفهمه وبدأت البزة بالاحتراق ثم رأيت جسدي وهو يحترق ويتلاشى ويندثر دون أن أشعر بأي شيء.

كان عمر خاشعا يستمع إلى الرواية ويقلب حروفها في رأسه محولا إياها إلى مشاهد في مخيلته حتى إنه لم ينتبه إلى هاتفه إلا بعد أن نبهه السي مراد بتوقفه عن القراءة والنظر إليه ثم إلى هاتفه الذي أطل الرنين وردّ على فريال التي نفذ صبرها وكثرت أسئلتها وأخبرها أنه وجد حلا للأحجية وأنه سيتعذر عليه شرح ذلك لها فالأحجية قادتة إلى مخطوطة لم يقم بقراءتها بعد وربما ستقوده إلى أحجية أخرى وأضاف إلى رأسها المرهق أسئلة جديدة وحيرة ستبقى معها حتى عودته، وأصر عمر على أن تتحمل ذلك فلم يجد ما يقوله سوى أنه سيعود غدا ويخبرها بكل شيء وأغلق السماعة ونظر إلى السي الهاشمي الذي عاد إلى صفحاته مكملًا:

سكون رهيب، دجنة قاتلة، خوف، ضعف، وكأنما ظلام الكون اجتمع في ذلك المكان .

لم أشعر بأي شيء ولم أسمع وتيرة أنفاسي المعتادة ولا الإيقاع المؤنس
لنبضات قلبي، حتى إني نسيت كيف كان يبدو الإحساس وعرفت أنني
ميت وهكذا يبدو الموت.

-لا أنت لست ميتا.

صوت هادئ غريب المصدر كسر عتمة ذلك السكون المفزع وقطع غشاوة
حواري مع نفسي فسألته مترجيا:

-أين أنا؟

أجابني: أنت لست في أي مكان.

- صرخت: من أنت؟ من أنت؟

_ أنا مثلك أبحث عن الطريق.

في مثل هذه الحالات كانت دقات قلبي تتسارع وتحدث تفاعلات في
جسدي وتتسع عياني ولكن كل هذا لم يحدث لم أجد جسدي لأتبين
هل كنت خائفا أم مرتبكا فجسدي حتما كان سينبؤني بحالتي في تلك
اللحظة، ظلام دامس هدوء تام لا يوجد سوى ذلك الصوت الذي أزعجني
من جهة وأنس وحشتي وتعجبي من جهة أخرى، وهل هو حقيقي؟
-نعم أنا حقيقي وموجود (نفس الصوت).

-كيف تسمعي؟ أين أنت؟ من أنت؟ أجبني بالله عليك؟

سكون رهيب جاء كردّ على أسئلتي تملؤه دجنه لم أعها كأني بعيد عن ضوء الشمس بملايين السنين ولن تشرق مجدداً، أردت أن أستيقظ من ذلك الكابوس وصحت بصاحب الصوت طويلاً.

أردت تحريك أطرافي لكن دون جدوى وراودني شعور لم أجد له تعريفاً حسيّاً، لم أعلم هل كنت مستلقياً أم جالساً، أتحرك أم ساكناً، وكنت على دراية شبه تامة أنني ميت وهذا هو شعور الميت وها قد حان الوقت وشعرت به أخيراً لكن بقي السؤال قائماً وبقي الغموض مصاحباً لعنمة موحشة تخنق روحي، جل ما أردته في ذلك الوقت أن يأتيني شخص ما ويقول لي أنت ميت لترتاح روحي وأتبين مصابي وينقشع عني الرعب، رعب الغموض والجهل، رعب الاستفهام الملحّ الذي حملته الإنسان الظلوم الجهول، أردت الخروج من ذلك الكابوس ولو إلى كابوس آخر ووددت لو كانت لي القدرة على التحكم بأعضائي لتخلصت من نفسي دون أي تفكير، ولم أقدر حتى على التساؤل لكمية الأسئلة التي لا جواب عليها، حتى الصوت الذي سمعته اختفى.

لم أجد الصراخ ولا البكاء، أردت الاستسلام لكن دون جدوى وشعرت بأقصى درجات الضعف، ذلك الضعف الذي يمنعك حتى من الاستسلام، وسمعت الصوت من جديد وكأنه ينادي من غيابة بئر معطلة.

_لا تستسلم! لا تستسلم!

كل ما أردته حينها أن يبقى الصوت ولو استطعت لبكيت من شدة الأُنس
لسماعه، كان كلّ شيء بالنسبة لي في هذا العدم الفظيع رغم أنني لم
أعلم كنهه ولم أفهم غرابته لكنه الشيء الوحيد الذي استأنست به وقتها
وترجيته أن ينقذني من هذا الكابوس، غير أنه أجج مناطق الحيرة في
أعماقي وخاطبني يقول:

- تمنيت لو كان كابوسا لكنه ليس كذلك، إنك بعيد جدا ويجب أن تج
الممرات، أنت من ستنقذ نفسك ودعني أخبرك ابحت عني بين الممرات.
كانت تلك آخر مرة أتواصل فيها مع هذا الصوت أو أسمع منه أي شيء
وبقيت على ما أنا عليه طوال اليوم أتوسل إلى الصوت أن يخاطبني
يلحاح مستمر وطرحت عليه أسئلة لا حصر لها، كان الظلام هو الجواب
الوحيد وكنت أطمئن حين أرسو على أنني ميت وأعاود الخوف حين
أتذكر الصوت الذي أذهب عني هذا الاحتمال، وأنا الذي رأيت جسدي
يتمطط ويندثر أمامي حتى غبت في غياهب الظلمات وأجمل احتمال
بالنسبة لي حينها كان الموت وفكرت في أصحابي الذين تركتهم في
السفينة وما الذي يكون قد حدث لهم وكنت أعرف أن الفشل في المهمة
سيقودنا إلى الموت وجهزت نفسي لذلك لكنني كنت أشعر بالحياة، كان
هناك إحساس غريب ونبض حياة من نوع ما، اشتقت لأبي وحزنت على
أصحابي في السفينة كما شعرت باشتياق المحبين لحسناء وكان معظم

تفكيرى الطويل فى هذه الخلوة بها وأظن روى تبسم كلما ذكرتها
كنت أشعر بشيء يفضى إلى الابتسام فهل يشعر هكذا الميت؟ ولو لم
تندثر ملامحى وجسدى لوجدتنى أبتسم ولرقص وجدانى على طبول
القلب الولهان لكن أين جسدى وما أنا؟ ويعود السؤال الذى لم يفارقنى
طوال اليوم السابق وبدأت أحس بمشاعرى تتوهج ويزيد شعورى
بالحياة وسمعت صوتا بعيدا حرك روى وبدأ الصوت بالاقتراب ثم
تلاه صوت آخر فأخر حتى كادت روى تنفجر وامت تلك الأصوات
غير مفهومة المكان وكأنى فى قاعة شاسعة وسط جمع لا متناه من
الأشخاص، أردت التخلص من كل هذا والعودة إلى صمتى فقد أنسنى
الصوت فى البداية لكنه أرعبنى عندما كثرت مخارجه وكأنما جميع من
دبّ على وجه الأرض قد حشر فى مكان مظلم يصرخ ويتكلم ويناجى
ولم أجد نفسى إلا وأنا أصرخ لصراخهم.

— هل يسمعنى أحد؟ هل هنالك من يرانى؟ النجدة، النجدة.

وظل الصراخ يزداد لكنه لم يكن كالأصوات المعتادة، ولم أكن أسمع
بأذنى وكنت متأكدا أنى لو كنت أتعامل مع صوت كهذا بأذنى لخرق
طبلىتها بل لخرق رأسى كله وظللت أحاول استيعاب هذا الصوت حتى
بدا لى شكل غريب يتكون أمامى ويقترّب ثم تلاه شكل آخر وآخر
وتوجهوا نحوى بسرعة ومروا من خلالى وكأننى شفاف، خلال ذلك

توقفت تلك الأصوات وحلّت مكانها تلك الأشكال التي كانت تتوافد من كلّ الجهات بسرعة مخيفة وتمر بي فلا تصطدم وألتفت خلفي فلا أراها تكمل مسارها بل أرى أشكالا أخرى تأتي من خلفي فتمر من خلالي هي الأخرى وتنتهي عندي وكأنني حفرة وسط المحيط تأتيها المياه من كل صوب وتسقط فيها، وكأنني أتهمها التهاما وكانت أشكالا غير مجسمة لا معنى لها ولا لون لها وليس لها حدود تبين أحجامها تمر من خلالي فتنتهي فجأة، والمصيبة أنني لم أستطع تجنب رؤيتها فأين أجد جفوني وعيني لأغلقهم! شعرت بالخوف بل بشيء أكثر بشاعة من الخوف وصرخت فبدا صراخي كتلك الأشكال وهذه المرة كانت تخرج مني! وتوقف كل شيء فجأة وعاد العدم فصرخت مرة أخرى ولم أسمع صراخي بل أشكالا لا متناهية الأحجام تخرج مني وأعدت الكرة فإذا بالأشكال تخرج مجددا وبنفس تلك السرعة المريبة وعاد العدم فصرخت من جديد لكنني سمعت صرختي واختفت الأشكال وأحطت بشكل غرائزي بهذه الموهبة الجديدة فكنت إذا أردت الأشكال أصرخ صرخة معينة وإذا أردت الصوت أصرخ بشكل مختلف وظللت على هذه الحالة تارة أخرج صوتا وتارة أخرى شكلا وكأنها لعبة، المهم أنني وجدت ما يسليني ووجدت لي شيئا أقوم بعمله، ثم بدأت التحكم في نغمات الصوت فصرت مرة أخرج صوت الريح ومرة صوت الأسد ومرة

أخرى صوت الحجر عندما يسقط في الماء حتى أحطت بكل صوت قد سمعته في حياتي السابقة وصرت أرددها جميعا كما أصبحت أخرج كل الأشكال وبشتى أنواعها فأخرجت الأشجار والجبال وقنديل البحر وسمكة الفقاعة وكانت تخرج مني ثم تختفي مبتعدة ثم بعد القليل من المحاولات دمجت الأصوات بالصور فصرت أخرج طائر الحسون وأستمع لتغريده وأخرج نهر النيل واستمع لغديره وكل هذا لم أعلم كيف صنعته فقط أحاول التفكير في شيء فيظهر أمامي يتحرك ويصدر صوته ولم أحاول التدبر في هذه القدرة وكل ما كنت أفعله هو التسلي ومشاهدة كل ما أريده وأحضرت الأشخاص وسمعتهم أحضرت أبي وسمعته وأحضرت حسناء وسمعت صوتها الشجي وأحضرتها مرة واثنان وثلاثة وعندما تختفي أحضرها من جديد وكان يظهر مع حسناء هالة تحيط بها تبدو كالماء في تكوينها وكأنها داخل فقاعة كبيرة وأبي كانت له هالة شفافة تختفي فور ظهوره وأمي التي فارقتنا قبل زمن وانتقلت إلى الرفيق الأعلى كانت لها هالة مشعة أكاد لا أراها وهي بداخلها وقمت بمشاهدة كل ما جال بخاطري حتى الديناصورات والشيء الذي أزعجني حينها هو أنني كنت أرى وأسمع ما أريد.

حسنا كانت تقول لي ما أريد سماعه وأجدها تلبس في كل مرة الملابس التي صورتها بها وأدركت أنني أغوص في مخيلتي فقط، وكل هذا غير حقيقي وأنا أسرح في مخيلتي منذ الأمس فحسب تقديري فقد يكون قد مرّ يوم أو أقل عن تحطم سفينتنا واندثار جسدي أمامي ولم أجد مخرجاً من هذه الحالة غير أنني أحببت هذا التقدم فقد عاد إلي تصويري وصرت أتمتع من جديد بنعمة الرؤيا حتى وإن كانت في مخيلتي فقط، المهم صرت أرى بعد ذلك العذاب وتلك العتمة المخيفة وبينما كنت غارقاً في إحضار المشاهد برز أمامي شيخ جميل المظهر لم أكن قد رأيته سابقاً ولم أعلم كيف فكرت به ليخرج أمامي وصرت أتأمله وعلى عكس جميع المشاهد فهذه الصورة بقيت أمامي ولم تذهب وكان الشيخ يبدو في الستين من عمره أسود الشعر واللحية وليس لديه شاربان أبيض السحنة طويل القوام وكان يحدق بي وكأنه يراني وقال: _ أخيراً وجدتني.

انتابني شعور عميق وشاهدت هالة غريبة رأيته لأول مرة لم تكن كسابقاتها في جميع المشاهد السابقة ولم أجبه فكيف يخاطبني وهو مجرد شخص في مخيلتي؟ ثم أردف يقول:

_ ما بالك يا هذا ألا تسمعني؟

فعادت تلك الهالة تخرج من جديد وأكمل الشيخ بصوته العذب:

_ أرى أنك خائف، فهذه هالة الخوف.

_ هل تراني؟ هل حقا أنت تخاطبني أخبرني بحق كل ما هو عزيز عليك!

_ نعم أنا أراك وتراني وقد أخبرتك سابقا أن تبحث عني بين الممرات
وها أنت تجدني أخيرا بعد زمن طويل.

_ ماذا؟ أنت الصوت الذي خاطبني بالأمس؟

فضحك الشيخ وقال:

بالأمس؟ لم يكن ذلك بالأمس أيها النقي ألا تعلم المدة التي لبثتها في
هذا المكان؟

فقلت: لبثت يوما أو بعض يوم.

_ بل لبثت مئات السنين ممّا تعدون في مكانكم.

قال ذلك وهو يقهقه ساخرا وأردف:

_ كنت أراقبك بين الفينة والأخرى وقد أمضيت سنوات عديدة وأنت
تقلد أصوات الحيوانات وسنوات أخرى تستحضر الصور والمشاهد
وأمضيت سنينا عديدة وأنت تستحضر فقط صورة زوجتك.

_ بالله عليك ما الذي تقوله أيها الشيخ وأين أنا؟ أين أنت؟ وما أنت؟
وإن صح كلامك لماذا تراقبني كل هذه المدة ولماذا لم تتكلم معي حين
ترجيئك وهل يعقل كل هذا؟

ابتسم الشيخ ابتسامة ذات مغزى وقال:

_ صبرا جميلا أبيها النقي أعلم أن كل هذا غير معقول فلا مكان للعقل الذي تعرفه هنا، كما أنك قد لبثت سنينا وأنت تتضرع وتترجى كي أخطبك وسأخبرك بتأويل كل ما لم تحط به خبرا ولدينا كامل الوقت هنا فلا تعجل.

في هذه اللحظة رأيت هالة حمراء تنبعث مني في الفراغ فملأته وكأني مشكاة منارة وسط غرفة مغلقة لا نافذة لها، وانتشر ذلك الشعاع حتى غطى كل شيء ثم عاد صوبي واحتجب داخلي حينها عم الهدوء وعادت صورة الشيخ يتسم قائلا:

_ إن هذه الهالات هي الترددات التي تنبعث من الإنسان عندما يشعر بأي شيء، ولكل شعور حالته الخاصة وستتعلم ذلك بسرعة كما أنها كانت موجودة دائما ولكنكم معشر البشر لم تنظروا إليها أمّا في هذا المكان فتستطيع رؤيتها وتمييزها وقد بدا لي أنك إنسان مفعم بالمحبة فطوال سنين وأنا أنظر إلى هالات الحبّ تنبعث منك، ولهذا أسميتك بالنقي وما تواجدك هنا إلا لمغزى عظيم ويجب أن تستخدم هذا النقاء لإتمام المهمة ومساعدة فصيلتكم لتبقى مدة أطول داخل عالم الطاقة وإن فشلت في مهمتك فسيتهاوى كوكبكم ويفرق لوحده وستعود جميع الأجرام إلى المكان ويبقى كوكبكم في القعر دون أن يعود مع الكون إلى الضفة الأخرى وحينها سيكون المرور صعبا، والهالة الأخيرة التي صدرت

منك ما هي إلا مزيج بين الخوف والجهل وذلك الذي رأيته هو شعاعها وتردّداتها ولكي تعلم حقيقتك يجب أن تفهم أن جسدك الذي اعتدت عليه في عالم المادة هو باق كما هو هنا غير أنه اتخذ شكلا آخر يتلاءم مع العدم، شكلا غير محدود بأبعاد كالتي هي في عالمكم وأن طريقة إدراكك تغيرت كثيرا وقد تحولت حواسك بحيث أن طريقة تعاملك في هذا الوسط مختلفة، وها أنت تتقن هذه المهارات شيئا فشيئا وهذا ليس بالأمر الغريب عليك أيها النقي فقد حدث هذا الأمر معك سابقا إن كنت تتذكر عندما ولدت لأول مرة في عالم المكان والزمان بدأت بالتعرف على الأشياء وفق حدود حواسك ونفس الشيء يحدث معك هنا وستتعلم استعمال حواسك الجديدة وفق قدراتها في اللا مكان و اللا زمان، والشيء الوحيد الذي لم يتغير هو فؤادك الذي لا يتكون من الطاقة أو كما تسمونها أنتم المادة وكل ما عليك فعله الآن هو القراءة يجب أن تتعلم القراءة وأنا الذي سأريك الطريق وأعلمك الحروف ولم أكن أستطيع الكلام معك لأنك ما كنت تعرف كيف تسمع وتبصر وقد كان الأمر شاقا عليّ في البداية حين خاطبتك وتركتك كي تتعلم وحتى الآن أنت لا تجيد فكّ الشيفرات وأنا أستعمل طريقة تعلمتها منذ آلاف السنين ولكّنها شاقة ولا أحسنها جيدا وفور ما تتمكن من فكّ الشيفرات أيها النقي ستفهم كلّ شيء.

_وما أنت أيها الشيخ وكيف تراني وكيف تبدو حالتي هذه فأنا لا أرى ماهيتي وهل هذا الموت؟

_إن الموت أيها النقي هو خروج الروح عن الجسد وهذا الذي لم يحدث لك فجسدك باق وهنا لا يوجد حدود مكانية لجسدك وهذا ما ستعيه بعد أن تقرأ وسأعلمك القراءة وأرشدك إلى بيت الألواح وهناك ستعلم ما أنا وما أنت وما الذي عليك فعله وبما أنك عثرت علي فلن تتوه مزة أخرى وستجدي معك فور ما أردتني وهذه هي طريقة انتقالك حيث أنك ستتواصل معي دون أن تتحرك وفعلا قد بدأت تفهم الممرات وتعيها وستصبح تنتقل حيثما تريد لكن عليك التعلم أولا.

وغاب الشيخ تاركا وراءه عددا مهولا من الخيوط وأدركت وفق جملته الأخيرة أن هذه الخيوط هي الحروف وهي اللغة المستعملة هنا وكانت جميع الخيوط متشابهة غير أن كل خيط كان يتحرك بطريقة مختلفة ويتشكل بشكل مختلف وبعد الكثير من التمعن بدأت أشاهد مشاهد وبجانبا خيوط تهتز وفق نمط معين وبدأ المشهد تلو الآخر وكأنه فيلم طويل، لكنني أدركت بسرعة كل اهتزازة للخيط وما تعنيه وما إن أردت البحث عن الشيخ وجدته أمامي يقول:

_ها قد أصبحت تجدي بسرعة لكنك ثقيل جدا في التعلم أيها النقي.

_ وهل استغرق ذلك وقتا طويلا أيها الشيخ؟

_ لا زلت لم تفهم أيها النقي دعني أريك بيت اللوحات وهناك ستجد ما تريده وأنت تعرف مكاني إن أردتني.

اختفى الشيخ مرة أخرى ووجدت نفسي في مكان مليء بتلك الخيوط الدقيقة، كانت متشابكة وتهتزّ دون توقف فصرت أعبر من خلالها وكأني كائن متناهي الصغر شفاف أمر عبر كل شيء وبدأت أقرأ كل شيفرة على حدا وأربط بينها، بدأت أفهم أين أنا وتمكنت من كل الشيفرات وأدركت أن بيت الألواح هو عبارة عن مكتبة ضخمة تحتوي على عدد لا متناه من الألواح والتي كتبت عليها كل العلوم وفهمت أنني متواجد خارج نسيج الكون حيث لا معنى للزمان والمكان حيث الماضي والمستقبل سيان وعرفت أنني لست من أتحرك بين الممرات بل امتلكت القدرة على رؤية ما يوجد في الممرات وأنا في مكاني وعندما أريد الذهاب إلى الشيخ الغامض لا أنتقل إليه بالمعنى المعروف للانتقال بل أقوم باستدعاء المشهد إلى حيث أوجد فألتقي به وكأني أرسل كاميرات إلى حيث أريد وأتكلم وأستمع من خلالها، كذلك بيت اللوحات أستطيع قراءة شفراتها والولوج إلى رفوفها والتقليب في كتبها وصفحاتها دون أن يكون انتقالا بالمعنى الحسي المعروف وفهمت أن ما نسميه نحن بالمادة ما هو إلا فعالية وهالة جسمها الملموس يتمثل في قراءة حواسنا لها وأن هذه المادة في أصلها عبارة عن حركة واهتزازات للخيوط التي رأيتها

وتختلف كل مادة عن الأخرى حسب طريقة اهتزاز كل خيط، فالحديد له اهتزاز معين وللتراب اهتزاز آخر والصوت والمشاعر وكل شيء كان يتكون من شيء واحد وهو هذه الخيوط وأن معرفتنا وإدراكنا لهذه الخيوط يتمثل في طريقة تشفير الحواس لها أما أنا فقد امتلكت خاصية تشفير أدق وأوضح وعرفت أنني إذا تعلمت الكتابة بهذه الخيوط فإنني سأتعلم العبث في مسارات المادة وفي تشكيلات الطاقة، وأصنع كل ما أريد أن أصنعه فهذه الخيوط كانت بمثابة المادة الأولية لكل شيء وظللت أفك تلك الرموز وأقرأ تلك الخيوط المهتزة وكانت القراءة بالطريقة الجديدة التي تعلمتها فتستطيع أن تقول أنني أقرأ وتستطيع كذلك أن تقول أنني أستمع للكتب أو أشتم ريحها لأتعلم منها، المهم أنني كنت أتلقى العلم بطريقة ما وأفك الشيفرات حيث تتحول إلى مشاهد وأصوات وأشخاص وما إن فهمت كل هذا حتى عدت للشيخ سائلاً:

لقد فهمت كل شيء أيها الشيخ.

فأجابني بنفس نبرته الساخرة:

لا زال هناك الكثير أيها النقي فلا تعجل وإنك لم تتعلم الكتابة بعد فارجع ولا تعد حتى تتمكن من تشكيل تلك الخيوط والكتابة بها وتحفظ خريطة الممرات وعندها سنلتقي.

رجعت إلى بيت اللوحات أو إن صح القول بعثت حواسي إليها لتكمل القراءة وكانت تحتوي على سبع مناطق ضخمة في كل منطقة يوجد علم للنسيج الكوني من زاوية مختلفة ومررت بكامل المناطق وتعرفت على جميع رفوف بيت الألواح وحللت جميع الشيفرات وذبذبات الخيوط وقرأت كل العلوم التي توصل إليها الإنسان، قرأت ما كتب وما سيكتب بعد أن أصبحت لي قدرة رهيبة للحفظ فكل اللوحات المشفرة بعد أن قرأتها تمثلت لي بعلوم تصويرية كالأفلام، عرفت طرقا بسيطة وسهلة لتذويب الحديد والتحكم في ترددات الرياح واستعمالها وعلمت منطق الطير وجميع الكائنات الموجودة في منطقة المكان والزمان، فهمت المشاعر وهالاتها وتعرفت على الممرات وصرت أراها جميعا وأستطيع أن أرسل حواسي عبرها لكنها كانت ممرات طويلة لا تقود إلى أي مكان ولا تنتهي عند أي شيء.

توجهت حيث أجد الشيخ الغريب الذي لم أجد له أي أثر في بيت الألواح وفي لمح البصر وجدته يقول:

_ ها أنت أيها النقي من جديد، مرحبا بك، عسى أنك تعلمت كل شيء فلست أستطيع أسئلتك المتكررة.

فأجبتة: تعلمت كل شيء لكن لم أجد أي شيء عنك فما أنت؟

قال ضاحكا: بل مررت عليّ في الكثير من الأحيان لكنك لم تفهم بعد ما أنا ولا تعجل فستعرف ذلك لاحقا، المهم الآن هل فهمت المغزى من تواجدك هنا؟

أجبتّه بالنفي فكل شيء كان غامضا بالنسبة لي، والعلم إذا لم أعرف كيف أستعمله فما الفائدة منه، كما سألته عن تلك الممرات التي لا تقود إلى أي مكان.

حينها رأيت عينيه تشع وتسمّرت ملامحه وقال:

_ إنك هنا لتنقذ عالمك من هلاكه المحقّق، لتريهم الطريق الصواب.

لتنشر ما تعلمته وتعلم الناس مما علّمت هنا، وتربط الفترات التي محيت بين الأزمنة فكل هذا العلم كان موجودا في كونكم لكنكم لم تحافظوا عليه وأنت الوحيد القادر على إرجاع الأمور إلى نصابها، ولهذا أنت هنا وواصل البحث بين الممرات حتى تجد عالمك ولا تنسى العودة إلى بيت الألواح فإنك ستجد هناك كل ما تبحث عنه، ويجب أن تعرف أيها النقي أنك لا تملك القدرة للعمل بهذا العلم الذي اكتسبته في كونكم ويجب أن تجد شخصا في منطقة النسيج الكوني ليساعدك، إن مهمتك تتمثل فقط في إيصال هذا العلم وتعليمه للبشر ومن يستطيع العمل بهذا العلم يجب أن يكون إنسانا طبيعيا ويتمتع بحواس طبيعية فاهب وانشر علمك، وتذكّر حياة كونك مرتبطة بك.

كانت هالة الخوف تحيط بي من كلّ اتجاه فلماذا أنا؟ وهل يا ترى
أستطيع العودة للعالمي؟ وما الذي سيحدث إن فشلت؟
_ نعم ستعود لكن يجب أن تنجح في مهمتك وإذا فشلت لن يكون هناك
مكان تعود إليه ولن تجد كونكم مرة أخرى.
هذا الذي قاله الشيخ قبل أن تختفي صورته من أمامي تاركا ذبذبات
الحيرة وهالات الخوف والجهل والتعجب تغطي مكانه.
رجعت إلى بيت الألواح واستحضرت الألواح التي تتعلق بالمرمات
وأعدت تفكيك شيفراتها وتعلمت كيفية التنقل بين الممرات باستعمال
خيوط لها ذبذبات واهتزازات معينة وتمكنت من كتابتها وتجميعها في
الممرات وما إن قمت بتشكيلها وفق النسق الصحيح حتى رأيت نورا
يتراعى من آخر الممر وكانت هذه أول مرة أشاهد فيها النور في هذا
العدم وكل ما قصصه في البداية كان يحدث في ظلمة دامسة لكنني
تأقلمت معها وصرت أتعامل بوضوح تام داخلها وعندما اقتربت من ذلك
النور تذكرته وعرفت أنه نور كوننا غير أنني لم أكن أرى بوضوح وكنت
بحاجة إلى العتمة لأتمكن من رؤية فوتونات النور فحواسي كانت لا
تتعامل مع كوني القديم وتقدمت من النور وبدا لي أشخاص يتحركون
وقربت الصورة أكثر حتى صرت أسمعهم.

بدأت بالصراخ وعلت ضحكاتي الهستيرية وناديت عليهم غير أنه لم يسمعي أحد وبقيت أراقبهم وفي داخلي شعور بالأنس كنت قد نسيتَه ورأيت هالة هذا الشعور لأول مرة فما أحوج الإنسان للإنسان! وبقيت هناك حتى عمّ الليل، كانت قرية جميلة تكونت من بعض الأكواخ المصنوعة من الخشب الأحمر بجانب الغابة وكانت حياتهم بدائية، وجدت مجموعة تتوسطهم نار هادئة كل ما أرادت النوم رموا لها بعض الحطب لتكمل معهم سهرتهم، جلست معهم وكنت أشعر بشيء من الانتشاء وكأنني أدخن معهم نبتتهم المقدسة واستمعت لحديثهم وبادلتهم الحديث غير أنه لم يسمعي منهم أحد، لكنني ظللت أتكلم وأتكلم وكنت آخر من انصرف عن الحلقة ثم انتقلت من هذه القرية الحمراء عبر ممر آخر ورأيت أناسا يقتل بعضهم بعضا واستقبلت ترددات وهالات مؤلمة تخرج من ذلك الموقع، لم أطل البقاء هناك واتخذت ممرا آخر ورأيت الناس تمتطي مركبات طائرة وتطير في كل اتجاه وكأنهم كومة من الذباب يتطاير في كل مكان وبدأت في رحلة الممرات وصرت أقلب في المشاهد وأنتقل بين الممرات والأمكنة والأزمنة وتمكنت من خاصية تحويل الطاقة الموجودة في العالم المادي إلى صور ومشاهد أستطيع فهمها حيث كانت المشاهد والمحدثات في البداية تظهر على شكل خيوط مرتعشة وعندما كنت أسلك تلك الممرات كنت في الحقيقة

أدور في العالم المادي لكنني لم أستطع تحويل الخيوط في البداية إلى مشاهد تتناسب مع العدم الذي وجدت نفسي فيه، تماماً مثل القرص الصلب الذي تتواجد فيه المعلومات على هيئة الصفر والواحد لكنه بمساعدة المعالج نستطيع تحويل تلك الأعداد إلى مشاهد وكتابات وصور،

وهكذا كنت أرى الكون، غير أنني لم أكن أراه بخاصية النظام الثنائي بل كنت أتعامل مع مجموعة من الخيوط بدل الصفر والواحد وعلى حسب اهتزاز وشكل الخيط أعرف أن هذا مادة أو صوت وهذه هي الشيفرات التي أخبرني عنها الشيخ وبالفعل فقد تعلمتها كلها، وكان مشهد الجماعة الحمراء يتكون من عدد هائل من تلك الخيوط، شيفرات النار المشتعلة وشيفرات أجسادهم وكلامهم وشيفرات الأرض والنباتات التي كانت معهم في المشهد وحتى البعوض ودودة الأرض والهواء المحيط بهم كل شيء كان على شكل خيوط مهتزة.

واستطعت أن أعالج تلك الشيفرات لتكون لدي أجسامهم وأفهم كلامهم وعرفت أنهم لو أجادوا لغة الخيوط لفهموني عندما كنت أخطبهم. أغلق السي الهاشمي الرواية بعد أن طوى الصفحة التي توقف عندها ليتمكن من الرجوع بسهولة إليها ونظر إلى عمر الذي كان غارقاً في أحداث الرواية وكأنه هو من كان في ذلك العدم وقال:

_ لقد نسيت أنك معي يا عمر لكثرة ما غصت مع صديقنا النقي في أحداثه، وهل يا ترى عاد من ذلك العدم أم هي مجرد أوهام داخل عقل علي المجنون وإلى أين ستقودنا هذه الأحجية اللعينة فقد بدأ ينتابني النعاس وهذه الرواية لم تنته بعد.

_ إنها ليست أوهاما يا سي الهاشمي فكيف بكاتب مجنون يتكلم عن النظام الثنائي وخاصة إذا كان قد كتبها قبل أربعين سنة ونهض من مكانه وأخذ الرواية من الهاشمي وفتحها أين كانت الصفحة مطوية وأكمل يقرأ:

صرت أستطيع رؤية كوكبنا في أزمنة وأمكنة مختلفة وأستطيع تشفير جميع اللغات الموجودة في كوني السابق وفي كل مرة أتتبع ممرا كنت أجدني في زمان مختلف وفي الكثير من الأحيان كنت لا أجد أية حياة على الكوكب ولم أعلم هل كان زمانا قبل تواجد الإنسان أم بعده وقرّرت أن أرجع إلى بيت الألواح لأتعلم خريطة الأزمنة وأستطيع تحديد الإحداثيات المكانية والزمانية وحينها أستطيع رؤية زماني الذي كنت أعيش فيه وفور ما هممت بالرجوع إلى بيت الألواح، شاهدت اهتزازات غريبة وتردّدات في إحدى الممرات وكانت تسير بشكل متسارع ومتقطع وسط هالات صغيرة كنت قد رأيته للمرة الأولى في العدم وفي لمح البصر حدّدت إحداثياتها الزمكانية وكانتذبذبات لآلة راقنة يجلس

إليها شاب أسمر عريض الجبهة حليق الشعر مجردا من جميع ملابسه يكتب دون انقطاع وقد كانت صورته واضحة على عكس جميع المشاهد السابقة وقربت الصورة لأقرأ ما الذي كان يكتبه وكان نص الورقة يقول: "تبا لكل الناشرين الموجودين في الجزائر وتبا للمركزية الغبية التي دائما ما تحتتم علي الذهاب إلى العاصمة في كل مرة وتبا لهذه السجائر الغبية، ومن اليوم فصاعدا لن أكتب أي شيء وسأقوم بتدمير ميسون اليوم" وبقيت أقرأ حتى انتهى من ورقته ثم حمل آله الكاتبة ورمها بقوة على الأرض وقال صارخا "إلى الجحيم يا ميسون الغبية!".

ضحكت بقوة وهناك التفت إلي وكأنه سمعني وصار يقلب عينيه في أرجاء الغرفة، فسألته مباشرة وأنا أنظر في عينيه.

_ هل تسمعني؟

فبهت وفتح فاه مستعيذا وهم يخرج من غرفته راكلا ما تبقى من آله ميسون ويتلفظ بأقبح العبارات.

لم أصدق عندما قرأت الذي كتبه ذلك الشخص وبأنه موجود في الجزائر ولكنني تأكدت من عباراته البذيئة التي لم يتوقف عن التلفظ بها والغريب أنني حينما خاطبته استعاذ وفرّ هاربا وهذه كانت أول مرة أتواصل فيها مع كائن بشري ويسمعني، لم أطل التفكير حتى وجدتني في بيت الألواح أحاول معرفة هذه الحالة وقرأت مئات الألواح حول الموضوع

وفهمت أن ذلك الشخص لم يستمع إلى كلامي بالمعنى الحسي المعروف باستقبال الأذن للذبذبات وإرسالها للدماغ والذي يقوم بتمييز الأصوات وشرحها بل قام عقله باستقبال ذبذباتي التي أرسلتها إليه مباشرة ومن دون وساطة الأذن وهذا الشخص من الأشخاص القلائل الذين قد يمتلكون هذه الخاصية والتي تؤثر بالسلب على عمل دماغه بطريقة سليمة تتماشى مع تلك البيئة الزمكانية ودرست في الألواح عن كيفية جعل هذا الشخص يفهم ذبذباتي ويقوم بترجمتها وعندها سأرسل عن طريقه كل العلوم الموجودة في بيت الألواح وأكمل مهمتي وربما أجد حلاً لأعود إلى كوكبي الجميل وتعلمت كذلك خريطة الممرات بحيث أتمكن من الدخول إلى الزمكان في أي إحداثيات أسطرها وفي أي زمان أريده.

توجهت بعد تعلم الخريطة إلى مكان تواجد زوجتي حسناء لكنني لم أجد لها في البيت ولا عند أبي ولا حتى في منزل أبيها وأعدت الكرة مرة واثنين وثلاث دون أي أمل لكنني رأيت أبي ورأيت أمي ورأيت نفسي وأنا صغير في أحضان أمي وفي شبابي وتتبع مسار حياتي كلها بكل دقة وثانية وأعدت مشاهدتها بكل تفاصيلها حتى أنني خاطبت نفسي وأنا شاب وخاطبت نفسي قبل الإقلاع بالمركبة وترجيتها أن لا تنطلق في تلك الرحلة المشؤومة، لكنني لم أسمع نفسي مطلقاً وأعدت المشهد

الأخير لي مع حسناء وشاهدته ورأيت ترددات الحزن التي كانت تنبعث من حسناء وبكيت نعم بكيت حتى غطت ذبذبات الحزن صورتني مع زوجتي واختفت من أمامي.

أدركت أنني قد امتلكت قدرة خارقة في هذا العدم غير أن هذه القدرة أتعبتني وأرهقت روحي بطريقة كريهة وقاسية فلقد رأيت أمورا ليست من شأني فترددات أمي وهي تحتضني في صغري كانت كالسهم تنخر في روحي وتردداتي عندما توفيت كانت بشعة وهالات قبيحة خانقة حتى إنني بحثت في الألواح عن مكان تواجد الموتى وبحثت عن أمي في كل المناطق والممرات لعلي أجدها وربما أجد طريقة لأتواصل مع الأموات لكن دون جدوى فترددات الميت تنقطع وتندثر فور موته ويختفي من أمامي وقد خبرت ذلك آلاف المرات كنت أدخل في الزمن الأخير لكل إنسان وأراقبه وهو يموت علني أكتشف لغز الموت والمكان الذي تتوجه إليه الأرواح غير أن هذا لم يذكر في الألواح وحتى صديقي الوحيد الشيخ ذو اللحية السوداء كنت كل ما أسأله حول هذا الموضوع أرى تلك الشرارة المربعة في عينيه والأمر الذي أتعبني وأبكاني هو معرفة مصير حسناء.

بعد أن بحثت عنها ولم أجدها وبعد أن عرفت أنني أستطيع الدخول في أيّ زمان أريده دخلت في زمن ولادتها وراقبتها وهي صغيرة وفي شبابها وبعد أن تزوجت بي وكنت أشاهدها معي وأتطفّل عليها وهي معي حتى إني قد تدخلت في الخلافات والحوارات التي كانت تحدث بيننا لكن لا هي سمعتني ولا أنا سمعت نفسي، ورأيتها تبكي كل يوم بعد أن تأكد خبر موتي في السفينة سربهاي التي رجعت إلى الأرض ورجع معها جميع رفقائي إلا أنا، ورأيت جنازتي المهيبة وبكيت لموتي بكاء شديدا وبكيت لبكاء أبي علي ولبكاء حسناء وبكيت عندما رأيت طفلي يولد ذلك اليوم فقد تركت قطعة مني في بطنها ولم يكن قد ظهر ذلك قبل انطلاقي، لكن كل هذا الحزن غشيته هالة الحقد والكره والغيرة فزوجتي انتقلت إلى مصر مع رفيقي سمير بعد أن تزوجا وعرفت مكانها أخيرا ولم أكفّ عن مراقبتها وكنت أصرخ في وجهها باكيا كلّ ليلة وهي في أحضان سمير لكن لا أحد كان يسمعي سوى الشيخ أسود اللحية الذي كان دائما يخبرني بأنني أستطيع تغيير الأحداث وقد قال لي عندما اكتشفت زواج حسناء أول مرة:

_ أيها النقي ألا تكف عن النحيب وأنت الذي من شأنه العبث بكلّ شيء؟
كنت أتنقل بين الممرات وبين بيت الألواح وكنت لا أفوت حلقات السمر في القرية الحمراء غير أنني لم أستطع التواصل مع أي أحد، كل ما كنت

أصنعه هو الجلوس إلى الحلقات بقرب النار أستمع إلى أحاديثهم الشيقة وأستمع بالترددات التي كانت تنبعث من دخان تلك النبتة، وذهبت إلى زمن ذلك الشاب الغريب الذي استطاع أن يسمعي لكنني لم أجده وكنت في كل مرة أجد آتته ميسون ملقاة في مكانها مما عرفت أنه لم يرجع إلى غرفته وهممت بتعقب مساره الزمني ووجدته في الخلاء أين كان يعتزل عن الجميع كلما ضاقت عليه قريته بجانب صخرة عملاقة وجلست أراقبه ولم أشأ مقاطعة خلوته خاصة وقد رأيت عندما تتبعته حياته أنه شخص عصبي كما أني قد علمت من بيت الألواح بأنه لن يفهم الذبذبات التي أرسلها إليه ولن يستطيع عقله ترجمتها وقررت أن أجرب عليه طريقة مذكورة في بيت الألواح عليها تنجح وبقيت معه لعدة ليالٍ إلى غاية قدوم والده إلى مكان خلوته وأخذه معه بعد حوار طويل، وفي الليل وعندما استسلم الشاب للنوم تقدمت منه حتى صرت قاب قوسين أو أدنى من فؤاده وبدأت في إرسال الذبذبات إلى عقله وأخبرته بقصتي كلها وأخبرته بأنه الشخص الوحيد الذي من شأنه مساعدتي في إنقاذ نفسي وإنقاذ كوننا وقد أرسلت له كل كلامي في وقت قصير جدا يتمثل في أجزاء معدودة من الثانية بحساب الوقت في عالم المادة وكنت أستطيع أن أرسل إليه ذبذبات جميع علوم بيت الألواح في لمح البصر غير أنني خفت عليه من الهلاك فجسده كان سيخر ميتا لو فعلت

ذلك وكان جسد الشاب تلك اللحظة يتصبب عرقاً ورأيت هالات الجزع تبزغ منه وترددات قلبه تتذبذب بطريقة خطيرة ورأيت دماؤه تنهمر بغزارة في أوردته وانقطعت أنفاسه وأدركت أنني لو واصلت الحوار معه سأتسبب في قتله وفور ما رفعت يدي عن فؤاده نهض وهو يصدر صوت احتكاك الهواء الذي سحبه مباشرة إلى رئتيه مع حلقه وبدأ في الصراخ، لكنني صدمت من عدم تذكره لكل ما وضعته في رأسه من حكايتي وكأنني لم أقم بأي شيء وأعدت الكرة في الليلة الثانية دون أي جدوى وزرته بعد ذلك العديد من المرات ولكنني كنت كمن يكتب على الرمال ففور أن يصحو ويوقظ العديد من المخلوقات بصراخه ينسى كل شيء، لم أجد أي حل في بيت الألواح عن ذلك وذهبت إلى الشيخ أسود اللحية لأسأله والذي قال لي أن عقل ذلك الكاتب هو في الحقيقة يستقبل ذبذباتي غير أنه لا يستطيع استرجاعها، فكل الحكاية التي سردها ووضعها في عقله كانت بالفعل محفوظة داخل عقله لكنه غير قادر على فهمها فهو كائن يستقبل المعلومات بالطريقة التقليدية عن طريق الحواس وعقله مبرمج على نوعية المعلومات القادمة من الحواس وأنا قمت بإرسال المعلومات مباشرة إلى عقله وتلك المعلومات كانت بلغة غير قابلة للكتابة ولا تتكون من كلمات ليتعرف عليها وتلك كانت المعضلة وأخبرني الشيخ بأن أواصل زيارة الكاتب حتى أجد

طريقة أو حلا لأجعله يستوعب معلوماتي المشفرة ولم تكن لي طريقة أخرى فأنا أتواصل هنا عن طريق الذبذبات والكاتب يستطيع استقبالها ولا يستطيع إدراكها، وكما كان الحال بقيت مواظبا على زيارته كل ليلة إلى غاية تلك الليلة التي صحن فيها وتوجه مباشرة إلى ميسون المحطمة وهم يستجمع أجزاءها وقام بمواساتها ورتب قطعها بحيث أصبحت قادرة على الكتابة مرة أخرى ورأيت ذبذبات الآلة من جديد صادرة من غرفته.

عاد الكاتب إلى ميسونه وكنت أرى في أوراقه الذبذبات التي أرسلتها إليه تتشكل أخيرا على شكل حروف ورسومات تتناسب مع البرمجة العقلية للإنسان في ذلك الكون وبدأت في رؤية قصصه التي بدت وكأنها مشابهة لقصصي ومعلوماتي التي وضعتها في عقله، غير أنه كان كاتباً فاشلاً فلم يقدّم بصياغتها كما سرّدها عليه بل كانت قصصاً مشابهة لقصصي وكنت أكتب عن شخص يزور مكتبة عظيمة يكتشفها تحت أهرامات مصر وسررت كثيراً لكمية التشابه بين القصتين وكان ذلك تقدماً رائعاً له في التعامل مع رسائلي.

لم تنقطع ميسون عن الكتابة بعد ذلك وكنت أزوره كل ليلة وأقوم بتبسيط تردداتي وإعادة تشكيلها بحيث أساعده على إدراك العلم الحقيقي، غير أنها لم تكن تتحول جميعها إلى حروف وكلمات ووجدت

صعوبة في إعادة صياغتها كل مرة، ربما لهذا اخترع الإنسان الموسيقى والرسم والرياضيات... ليعبر عن الأشياء التي عجزت عنها الكلمات. بدأ صديقي الجديد يصحو من نومه دون صراخه المعتاد ويكتب ظانا بأن رسائله اليومية نوع من الإلهام الصادر عن بنات أفكاره وكانت الأوراق التي مزقتها أكثر بكثير من الأوراق المكتوبة ورسائلي تقترب شيئا فشيئا من الحقيقة وكنت أستمع بمراقبته في كل زيارة ولم أنقطع عن زيارات الأزمان الأخرى والقرية الحمراء وأمي وأبي وكنت عند العودة إلى العدم حيث لا وجود للماضي ولا المستقبل حيث لا زمن أفكر في حسناء ولم أزرها مجددا وهي مع زوجها الجديد منذ آخر مرة عندما استيقظت من كابوسها وكنت أمامها مباشرة ونظرت إلى فوق وكأنها تراني وقالت "ابتعد عني بالله عليك" عرفت أنني صرت لها كابوسا ليس إلا وقررت أن أجد طريقة من بيت الألواح لأصحح الأمر واعتكفت هناك أتدبر وأقرأ واكتشفت طريقة للتعامل مع ذبذبات المادة غير أنني لم أحسنها جيدا وقمت بعدة تمارين وكانت تنجح بحيث أستطيع بعد جهد كبير أن أتحكم في سرعة تلك الذبذبات وقررت العودة إلى زمني قبل الخروج من الكوكب وإعادة تغيير مساري وذهبت إلى بيتي في الإمارات ورأيت حسناء ترتب أغراضها ورأيت نفسي جالسا هناك أتصفح كتاب المناظر لابن الهيثم ثم وضعت الكتاب وتوجهت إلى حسناء واحتضنتها

وكنـت أشاهد ذلك المشـهد وأصرخ (استمع لكلامها لا تذهب لا تذهب).
أردت تطبيق ما تعلمته في بيت الألواح وقمت بتغيير ذبذبات الريح
التي فتحت النافذة على مصرعـيها ودفعـت الستائر التي حطمت مجسم
سفينة فضائية كانت تتوسط الطاولة ونظرت حـسناً إلى المجسم ثم
نظرت عبر النافذة مباشرة نحوي.

صرخت في وجهها لا تتركـيه يذهب يا حسـناء حينها التفتت حـسناً إلى
زوجها وصرخت في وجهه وكأنها سمعتني (إنه نذير شؤم لا تذهب لا
تذهب) ولكنني لم أستمع إليها في ذلك العالم وظللت أصرخ عبر النافذة
ورأيت نفسي قادمـا من الجهة الأخرى وأغلقت النافذة في وجهي.
رجعت إلى العدم أجـزّ ذبول الخيبة وأستمع إلى ضحكات الشيخ أسود
الliche المتشفية وقررت الذهاب إلى زمـني قبل أن أخرج من السفينة
لأصلح مركبة النزول وشاهدت نفسي أقوم بفتح باب السفينة وصرخت
في وجهي:

_ عـد! عـد! يا لحسن أرجوك لا تخرج إنك سوف تضيع في الفضاء
وسيعود كل رفاقك من دونك! لكن دون جدوى لم أستمع إلى نفسي.
توقف عمر عن القراءة ونظر إلى السي الهاشمي وقال له:
_ إن رائد الفضاء اسمه لحسن يا سي الهواري!

_ أكمل يا عمر القراءة وسنرى أين تأخذنا هذه الكلمات.

حاولت في الكثير من المرات أن أغير مساري لكن دون جدوى ترجيت نفسي أن لا أخرج من السفينة آلاف المرات كما كنت أحاول أن أغير مسار الصخور التي هشمت الحبل وكنت أعود بالزمن وأقوم بالمحاولة ثم أعود وأحاول من جديد وبقيت أعيد تلك المشاهد وأحاول التصحيح إلى أن جاء الشيخ أسود اللحية وأخبرني أن ما أقوم به لن يجدي نفعا فقوّتي التي اكتسبتها لا تستطيع تغيير المسارات، وأخبرني أن لدي قوة الهالات وإذا عرفت دمجها سأنجح في مهمتي وأخبرني أن الشيء الذي دفعني إلى تعلم كيفية التحكم في الذبذبات هي القوة الناتجة عن هالات الغيرة والحقد والكره وبأنني عندما شاهدت حسناء قد تزوجت من سمير انبعثت تلك الهالات وساعدتني على زيادة قوتي هنا في العدم ويجب أن أترك تلك الهالات تساعدني في مهمتي وقال لي:

_ دع هالة الحب أيها النقي فهي ضعيفة وتمسك بالكره والغيرة والحقد فهي ليست قوى شريرة وأنتم البشر تدركون كل شيء بالمعكوس إنها هالات القوة الحقيقية فاهرب واستعملها.

رجعت إلى زماني حين نزلت أنا وسمير لإصلاح مركبة الهبوط وعزمت على أخذ سمير معي فقد حاولت إنقاذ نفسي ملايين المرات وفشلت ولن أترك سمير يعود ليتزوج من زوجتي (سأقتله سأبقيه هنا).

تقدمت من سمير وأنا مغمور بهالات الكره والحقد ثم ابتعدت قليلا وصرخت بكل قوتي فانفجرت تلك الهالات وغطت ذلك المحيط المكاني وقمت بتغيير الخيوط التي تكون مادة الصخور في ذلك الفضاء وأرسلتها بقوة نحو سمير فاصطدمت به وغاب عن الوعي وانقطع الجبل الذي كان يربطه بالسفينة لكنه لم يبتعد عن السفينة فقد تمسك به صديقه بقوة متحديا لتلك العاصفة وتلك الصخور وقام بربطه في المركبة بقايا الجبل الذي تمزق وعندها أرسلت تلك الصخور بقوة لكن صديقه نجح في إنقاذه وربطه واندثر هو في الفضاء.

كان ذلك الصديق هو أنا، نعم كان أنا لقد أردت قتله لكنني أنا من أنقذته في ذلك الزمن واكتشفت أن مصدر تلك العاصفة التي رمتني في العدم كان طاقة شريرة منبعثة مني، وأنا من ألقيت بنفسي إلى هذا العدم غير أن طاقة الحب قد تغلبت على طاقة الكراهية وتغلب لحسن المحب على لحسن الحاقد.

عدلت عن فكرة تغيير مساري والجري وراء قدرتي وقررت أن أكمل المهمة النبيلة التي بانتهائها ربما سأفهم كل شيء وبقيت أزور الكاتب كل ليلة وأساعدته في تحويل الذبذبات إلى حروف ونجحت في توصيل الكثير من العلوم إلى الأرض عن طريق الكاتب وترجمتها إلى علم مكتوب يستطيع العقل الإنساني التعامل معه.

جاءني الشيخ أسود اللحية عندما حققت ذلك التقدم وقال لي:
_ ها أنت أيها النقي تقترب شيئاً فشيئاً من هدفك الأسمى ولم يبق لك
الكثير على إكمال مهمتك وسأعطيك علماً غير موجود في بيت الألواح
لتنقله إلى صديقك في الأرض وفور إكمالك للمهمة سينتهي كل شيء
وستجد طريقك أخيراً.

لم أستسغ كلام الشيخ الأخير وانتابني الشك فبسببه فشلت في مهمتي
الأخيرة وتغلّبت هالة الحب على هالة الكراهية ولم أستطع قتل صديقي
وبادرتّه مستفهماً:

_ علي معرفة كل شيء الآن كما أنك أخبرتني أن هالات الكره والحقد
هي الأقوى لكن هالة الحب تغلبت عليهم فلماذا كذبت علي؟ ومن أنت؟
ولماذا تساعدني؟

اندلعت تلك الشرارات من عيني الشيخ أسود اللحية وقال:
_ إن هالات الحب والرحمة كما تسمونها أنتم هي هالات ضعيفة وغبية
ولا زلت معشر البشر لم تتعرفوا على حقيقتها، وإنك فشلت في مهمتك
لأنك لازلت لم تع ذلك بعد ولم تتعرف على الحقيقة المطلقة ويجب أن
تكمل مهمتك لتعرف كل شيء وأنا لا أقوم بمساعدتك أنت بل مساعدة
كوكبكم التائه منذ الأزل ليجد طريق الخلود والقوة، سأعطيك الحكمة
المطلقة لترسلها إلى صديقك الآن.

أخذت ذبذبات الحكمة من الشيخ وذهبت إلى زمن علي وبدأت في تلقينها إلى دماغه وكانت تصميمات ورسومات لعلم جديد قد أحسن علي تدوينها على أوراقه ورسمها بشكل جيد وقد أخبرني الشيخ أن هذا العلم إذا استعمله البشر سيتمكنون من بناء هيكل على الأرض من شأنه أن يستقبل كل ترددات وذبذبات بيت الألواح وهناك سيتمكن البشر من تعلّم الحكمة المطلقة وجميع العلوم الموجودة في بيت الألواح وأن الهيكل هو بمثابة راصد ووسيط بين الأرض والسماء حيث يترجم نظام الخيوط إلى لغة مفهومة في عالم المادة.

أكمل علي كتابة ورسم كل المخططات التي ستساعد البشر على بناء الوسيط السماوي وكتب كامل التاريخ البشري وكل العلوم التي اكتسبها البشر سابقا وبدأت قصتي تتشكل أمامي يوما بعد يوم لكن الكاتب جنّ تماما بعد أن فهم أنه يكتب حكايتي وبأنه جزء من حكايتي وبأنني سبب كابوسه، حيث نهض في ذلك الزمان بعد أن كتب الصفحات التي بينت علاقتي به وركب فوق المكتب يصيح: أكملتها! أكملتها! ظانا أنه انتهى من حكايتي فور أن فهم اللغز، لكنه لم يستطع استيعاب كل تلك المعلومات وأصبح كأداة وقلم أستعمله لكتابة ورسم ما أريد أن أرسمه كان بالنسبة لي كميّسون بالنسبة له، وبدأ يضع لمساته الأخيرة على قصتي حتى أنه عندما أكملها وضع اسمي تحتها وليس اسمه.

عدت إلى الشيخ أسود اللحية وأخبرته بنجاحي في المهمة وبأن البشر من شأنهم الآن بناء الهيكل والتعرف على بيت الألواح وسألته عن كيفية العودة إلى الأرض، نظر إلي الشيخ بعينه اللتين كانتا تشعان نصرا واختفى من أمامي دون أن يقول أي شيء، بحثت عنه في كل مكان ولم أجده وأحسست بشيء من الخداع في الأمر وواصلت البحث في العدم على غير هدى، وتوصلت في الأخير إلى حقيقة الشيخ الجميل أسود اللحية فبينما كنت أجوب الأزمنة اكتشفت أن القرية الحمراء لم تكن في العهود القديمة لزمن البشرية بل كانت القرية الوحيدة المتبقية بعد زوال البشر وكان ذلك آخر الزمان ولم يتبق من البشرية إلا تلك القرية وواصلت البحث في العالم المادي وسألت الطير والجبال وسألت الرياح وجميع المخلوقات التي لم تكن تردداتها وذبذباتها تعطيني أية أجوبة، وذات ليلة من ليالي القرية الحمراء وبينما كنت جالسا في حلقة السمر مع سكانها سمعت ذبذبات من زمن بعيد وعرفت بأنها ذبذبات صديقي الكاتب الذي سمعته يسبني ويبحث عني فتوجهت إلى زمانه ووجدته جالسا فوق صخرته يبكي مترجيا أن أزوره، وكنت أمامه أبكي على الحالة التي أصبح عليها وكل هذا كان بسببي، بسبب أنايتي وجهلي، لقد حولته من إنسان طبيعي إلى قلم أكتب به وأصبته بالجنون لكنه ترجاني في تلك الليلة أن أخاطبه فتركته حتى استسلم للنعاس وأخبرته

بأسفي وشكوت له مصيبتى وترجيته أن يسامحنى لكننى صدمت عندما رجع إلى المنزل وأمسك ميسون وبدأ يصوغ فى كلامى وأسفى فى تلك الورقة غير واع لما يكتبه، لقد أضحى تماما مثل ميسون وأصبح ينادينى كل ليلة عند صخرته لأزوره وينهض ليدون كلامى وإن تغيبت يوما يبدأ فى الصّراخ وإيذاء نفسه.

لم أعلم ما الذى أفعله بعد ذلك وعدت إلى بيت الألواح أبحث عن مكان الشيخ أسود اللحية وقرأت عن الهيكل الذى رسمت مخططاته بقلمى البشرى لكن الهيكل لم يكن وسيطا بين الأرض والسماء بل كان وسيطا بين الأرض والأرض! بين من يستعملون لغة الخيوط وبين لغة الإنسان المعروفة فقد كان على الأرض كائنات أخرى فى بعد آخر والمجسم هو عبارة عن أداة تواصل بين البعدين، وذهبت حيث كان من المفروض أن يبنى المجسم وتتبع المسار الذى كان سيستقبل منه المعلومات ووجدت نفسى فى أعماق المحيط أمام حشد كبير من المخلوقات على هيئة الشيخ أسود اللحية وصرت أصيح بهم.

_ من منكم الذى كان يتواصل معى؟ أين هو؟ أين أنت أيها الجبان؟
تقدمت وسط ذلك الجمع المهيّب الذى كان يبتعد من أمامى كلما اقتربت تاركا ممرا طويلا إلى الشيخ الذى بدا وكأنه ملكهم والذى بادرني يقول:
_ هاه، أيها النقى ألم أقل أنك ستتعلم كل شيء، ها قد وجدتنى أخيرا.

_ أين كنت؟ ولماذا اختفيت فجأة؟ ومن هؤلاء؟ من أنت؟

_ هههههه لا زلت كثير السؤال أيها...

لم يقل أيها النقي كما اعتاد بل نظر إلي نظرة المحتقر وقال:

_ أنا الذي أنزلت أباك ذات يوم من عدن، أنا معبود الرياح قاهر العدم،
من بقيت شامخا مثل القمم حينما سجد الجميع للّصنم، خلقت من نار
وحمم، أعرفتني الآن أيها... الصنم؟.

رجعت خائبا دون أن أنبت بأي كلمة فلقد أرّني الملعون واستعملني، وأنا
الذي ظننت أنني بفعلتي سأساعد البشرية وسأنقذ العالم المادي! وهل
حقا يحتاج العالم إلى من ينقذه؟ لقد هرعت لإنقاذه هربا من مصيبتني،
إنني في الحقيقة أردت نجدة نفسي وليس العالم، رجعت إلى صديقي
المجنون لكن أنا من كنت أستنجد وأبكي وأتوسل ولم يكن للمجنون
سوى أنه كتبها في اليوم الموالي ولم أجد نفسي إلا وأنا أتضرع لمن
بيده كل هذا الكون خالق الزمان والمكان وخالق العدم خالق كل شيء
وخالق ما نعرفه نحن بالّاشيء.

بقيت كل ليلة أتوسل الكاتب أن يقوم بإتلاف كل ما رسمه وأخبرته
بحقيقة الشيخ أسود اللحية وبخدعته لنا غير أن المجنون لم يفعل شيئا
سوى أنه كتب تلك التوسلات.

وفي زمن آخر سمعت صديقي المجنون ينادي عند صخرته ووجدته قد جمع كل تلك الكتب والرسومات ويصيح (إن كيده كان ضعيفا... إن كيده كان ضعيفا) وهم يحرقها ورأيت الملعون أسود اللحية بجانبه يصرخ ويتوعد والنار تأكل كل ما قمنا بإنزاله وقال صارخا:

_ تبا لك كيف تفسد كل ذلك العلم؟ أو ليس علما قرأته بنفسك في بيت الألواح؟ عليك اللعنة.

إن علم بيت الألواح عندما أعاد كتابته صديقي المجنون كان يبدو متشابها غير أنه ليس كذلك ففرق كبير بين معرفتك للشجرة، وبين ظُلمها وكذلك الفرق بين ما يوجد في بيت الألواح وبين ما كتب في العالم الماديّ فهو ظلّ يبدو حقيقيا وبقي بالغرض عند وصفه لكنّه ليس الحقيقة، حيث سيعرف الجميع شكل الشجرة لكنّه لن يتذوق ثمارها وعندها يظن العالم المادي أنه أحاط بكل شيء علما وأنه يعرف الشجرة وأنّ هذه الشجرة لا تحتوي على ثمار وأن هذا العلم هو الحقيقة غير أنه لم يكن سوى ظل للحقيقة.

لم يغادر الكاتب المجنون مكانه حتى التهمت النار آخر ورقة من تلك العلوم وعاد إلى بيته لا يحمل سوى حكايتي هذه التي أكتبها.

بقيت في العدم أتنقل بين بيت الألواح وبين الأزمنة ووجدت الكثير من العلوم المقلوبة قد تواجدت بالفعل في الكثير من الحقب الزمانية ووجدت مخطوطات قد تواجدت تشرح كل تلك العلوم غير أنها أخفيت من قبل بشر يشبهون الشيخ أسود اللحية يحتكرونها لأنفسهم ويستعملوها في أمورهم الشيطانية ورأيت أناسا جيدين قد توصلوا للعديد من معلومات بيت الألواح وعرفوا معادلات وذبذبات الطاقة وكيفية استخراجها ومعادلات الطاقة الكهربائية التي تستخرج من الفراغ وتنتقل في الفراغ دون الحاجة إلى الأسلاك كما توصلوا إلى حواس آلية باستطاعتها رصد الكثير من الأشياء التي لا ترصد بالحواس الطبيعية لكنهم حاربوا وتم استغلالهم ولم يبقوا لهم أي شيء، وعرفت أن الكاتب المجنون لو لم يحرق مخطوطاته لكانت ستقع عند أولئك المجرمين ليستعملوها وعزمت على إبلاغ جميع من في العالم المادي بهذه المؤامرة ليأخذوا حذرهم ولهذا على الجميع أن يشاهدوا مخطوطة الخنّس. لم أجد أي طريقة لنشر مذكراتي العدمية في العالم المادي كما أنني قد رأيت في زمن لاحق أن الكاتب المجنون سيقوم بدفنها في الصحراء وكان لا بد من أن أصل إليها قبل أتباع الشيخ أسود اللحية ولم يكن لدي جوارح في العالم المادي غير صديقي الكاتب والذي كان عبارة عن أداة لا تفعل شيئا سوى الكتابة وهذا الذي انتهزه الشيخ أسود اللحية لنسخ

معلوماته الشيطانية من بيت الألواح إلى العالم المادي لأنه لا يملك قدرة كالتي امتلكتها للتواصل مع الكاتب وترجمت الخيوط إلى ألفاظ تُستعمل في العالم المادي.

كانت ليلة ذات ذبذبات هادئة خالية من ترددات الكثير من الأصوات عندما شاهدها تنتقل بين الراصد وبين جهاز حاسوبها، جلست أراقبها مغمورا بهالات الحب والاشتياق وصحت فيها باكيا:

_أمي! أمي! هذا أنا ابنك لحسن، آه يا أمي كم أنا بحاجة لك، كم تتبععتك في كثير من الأزمان وترجيتك أن تخرجيني من هنا، أن تعيديني للحياة مرة أخرى، آه يا أمي!

التفتت خلفها وكأنما سمعت استنجادي بها وقامت مسرعة نحو الراصد الذي كانت تعمل عليه في ذاك الزمان والذي أصدر طنيناً رأيت أنه أزعج والدتي التي كانت تدور بالراصد من كل جهة تحاول أن تفهم سبب هذا الطنين، أما أنا فكنت أشاهد كلماتي تتشكل في ذلك الطنين ورأيت الجهاز يعيد صياغتها بطريقته وبلغته التي يفهمها هو وحده في العالم المادي.

_ماذا؟ هذا أنا يا أمي! إنه أنا ابنك من يخاطبك ابنك!
فأعاد الراصد جملةتي الأخيرة بطنين ذي موجات أكثر حدة.
كنت أصيح في العدم وأرى صياحي يخرج من الجهاز والذي لم يتوقف عن الطنين حتى أغلقته والدتي.

كانت هالات السرور والذبذبات المشككة من صيحات الانتصار تحيطني من كل الاتجاهات، عندها عقدت العزم على استعمال هذا الجهاز للتواصل مع والدتي وإيجاد طريقة لتبسيط الترددات حتى يعكسها الراصد على شكل لغة يمكن للحواس في العالم المادي فهمها.

كانت يدا عمر ترتجفان عندما وضع الرواية ونظر بعينه اللتان كانتا تتخبطان وسط طوفان الخوف والصدمة وأعاصير الجهل والضعف. _هذا ليس حقيقيا يا السي الهاشمي، بالله عليك قل لي أن هذا ليس حقيقة أخبرني بأي شيء ينتشلي من هذا الشعور!

لم يرد الهاشمي الذي كان يحاول جاهدا أن لا تسحبه الأمواج بأي كلمة، لم يستطع مساعدة عمر بأي شيء فكانا كغريقين يتناوبان الصعود فوق بعضهما بحثا عن الهواء، أخذ المذكرات من عمر عليهم يجدون أي قشة تنقذهم من لجة هاته المذكرات وأكمل يقرأ:

رجعت إلى بيت الألواح أتخبط بين ترددات السرور والحيرة والخوف، أتذكر تلك السنوات على سطح الأرض التي عشتها دون والدتي أتذكر وقوفي تحت نجمها أشكو غيابها وأعاتبها على تركي وها أنا أتواصل معها أخيرا، أشم ريحها أتمعن في تكوينها أضحك لعثوري عليها هنا وأبكي لفقدانها هناك.

عدت إلى عالمها بعد أن توقف الزمن كثيرا في بيت الألواح دون جدوى،
كان صغيرها يغط في نوم عميق مرتاح الوجدان بجانبها،
جلست أراقبهما متمنيا أن يتوقف كل شيء عند هذه الصورة بل، ربما
توقف هذا المشهد لمدة ملايين السنين بحساب ذاك الزمان.

كانت تتفقدني واضعة يدها على جبينني كل ما أحست تقلبي وكنت
أنا أعط في نوم عميق غير مبال بجمال ذلك التواصل الحسي المغمور
بهالات الطمأنينة والحب، لكنني شعرت به ورأيتة هنا في العدم وغمرتني
موجة من البكاء عندما رأيت التواصل الموجي والهالة القوية التي
كانت تنبعث من ذلك المشهد، كنت بجانبها هناك وبعيدا عنها هنا، غير
أنها كانت أُمي هناك وأُمي هنا فقد نهضت فجأة وتفقدت طفلها الصغير
بجانبها ثم نظرت في سقف الغرفة تماما أين كنت أراقبها وظننت لوهلة
أنها تفقدتني هنا أيضا وخاطبتها:

_ أُمي أنا بخير وفي أفضل حال وأنا الذي خاطبتك عبر نجمك الذي
سترسلينه إلى مدار الأرض.

لاحت تلك الفكرة بذبذباتها المتسارعة وطافت حولي من كل جانب
عندما شاهدت صراخي قد تحول وطُبع إلى منحنيات وأدركت أنني
أستطيع خلق لغة أتعامل بها مع أُمي عبر هذا الراصد وشكلت ثمانية
وعشرون ترددا أرسلتها بالترتيب وبشكل يومي مما يعدون هناك في
عالم الطاقة ورأيت منحنى كل حرف معلقا في الجدار قبالة أُمي.

انظري يا أمي إنها حروف لغتي الجديدة تفحصيها إنها الوسيلة التي سنتواصل بها، أرجوك يا أمي!

كنت أدور حولها وأتبعها في كل مكان في نومها ويقتطعها أزورها في أحلامها دون أي جدوى ودون أن تدرك أن تلك الذبذبات كانت توسلات ابنها الذي تاه هنا وسيتيه قريباً هناك. وفي أحد الإحداثيات الزمكانية رأيته قد همت بتعليق قصاصات الحروف الأبجدية قصد تعليمي الحروف في ذلك الزمان، وقفت عندها أناذي:

_ إنها هي يا أمي إنها حروفي، هذا أنا! أنا! لقد وعدتني في رسالتك يا أمي أنك ستكونين دوماً معي، لقد أخبرتني أن لا أياس أبداً لقد عرفت كل شيء فأين أنت؟ إنها لحظة الحقيقة يا أمي لحظة التقائنا قد حانت فانظري إلي ها أنا بجانبك من جديد ها قد عدت إليك يا أمي.

نهضت أقفز في العدم بين هالات البكاء وترددات الضحك وعرفت الطريقة التي مكنت والدي من إيجاد المخطوطة في زمن آخر وعلمت أنني سأنجح في ذلك وكنت قد رأيت هذا السيناريو مئات المرات عندما كنت أجوب بين الأزمنة لكنني بكيت كثيراً عندما ثم هذا بكيت للحظة خلق تلك الأحداث وبكيت لتواصلي الأخير مع نسيج الطاقة ومع فصيلتي بكيت مع أبي عندما احتضن المخطوطة بعد أن وجد كلماته التي قالها لي في آخر المخطوطة ورفع عينيه نحوي مخاطباً:

_ لقد وجدتك يا بني وجدتك، ولا أريدك أن تحزن فأنت وديعتي عند
من لا تضيع عنده الودائع.

العدم _ لحسن قدوري 2051

لحسن

وهران 2021

وقف يشكو معلمته التي أثبتته لعدم تمكنه من الحروف الأبجدية، كان بجانب والده عمر الذي اعتاد أن يأخذه خارج البلدة أين تنعدم الأضواء سوى من نجم والدته الوحيد الذي كانت تأفل كل نجوم السماء راثية لهذا الصغير الذي ظل مشتاقا لوالدته طوال الدهر.

الأغواط _ صلاح الدين تجيني 19 جانفي 2023

الحسن

انا مبسوط اليك صحتك في ليلة على صحتك
المجنون انا من اتعلم لعتك لا تعلمون عشت الاربع
مالا تعلمون ذهبت حبك لا تعلمون وخاطبتك بما لا
تفهمون واخبرني وهو معصوم انكم جميعا عيان لا
تنظرون وقال بيكي بدموعي لست كدموعي من يكون
ان النظر ليس بالعين
انا مبسوط من انتك ولعتك لا تفهمون

الصفحة العشرة

33.054721,0.101110



ISBN: 978-9931-689-58-4



9 789931 689584

المثقف للنشر والتوزيع

Elmouthakat Publishing & Distribution
E-mail: elmouthakat2@gmail.com

@Elmouthakat

